# أريك

نشرة غير دورية تصدرها
جمعية القاهرة الخيرية الأرمنية العامة

رئيس التحرير :
د . محمد رفعت الإمام
مستشار التحرير للمواد الأرمنية :
بيـــرچ ترزيـــــان
سكرتير التحرير :
على ثابت صبرى

العنوان : ٢٦ ش مراد بك ـ صلاح الدين
مصر الجديدة ـ القاهرة
تليفون : ٢٦٩٠٩٥٢٦(٠٢)
البريد الإلكترونى :
arekcairo@yahoo.com

رقم الإيداع : ١٨٣٧٤ / ٢٠١٠

إعداد وطباعة : ديزايـن آرت
ت : ٠١٢٧٩٤٢٧١٨١ - ٢٤٣٣٠٨١٩
da_emad@yahoo.com

## المحتويات

الموضــوع | الصفحة



السادة القراء الراغبون فى الحصول على هذا الإصدار مجاناً ، الرجاء موافاتنا بالبيانات الآتية :

الاســـــم : ..............................
المـــهـــنـــة : ..............................
الـــعـــنـــوان : ..............................
البريد الإلكترونى : ..............................
الـــتـــلـــيـــفـــون : ..............................

# موجز تاريخ الشعب الأرمنى
# من العصور القديمة إلى العصور الحديثة

ترجمة : سحر توفيق
عرض : عطا درغام

الجزء الأول

تأليف : چورچ بورنوتيـان

صدر مؤخراً عن جمعية القاهرة الخيرية الأرمنية العامة (صندوق ساتينيج شاكر) والدار المصرية اللبنانية كتاب «موجز تاريخ الشعب الأرمنى من العصور القديمة إلى العصور الحديثة» من تأليف المؤرخ الأرمنى الأمريكى چورچ بورنوتيان ، وترجمة : سحر توفيق ، ومراجعة : د. محمد رفعت الإمام ، إشراف : بيرچ ترزيان . والكتاب يقع فى ٤٧٨ صفحة ، مقاس ١٧ × ٢٣ سم ، ويضم طائفة من الخرائط والصور الخاصة بالتاريخ الأرمنى عبر العصور. وتجدر الإشارة إلى أن الترجمة العربية تمت من الإنجليزية فى الطبعة الخامسة للكتاب (كاليفورنيا ٢٠٠٦) ، ثم استكمل المؤلف الأحداث منذ عام ٢٠٠٦ وحتى عام ٢٠١٠ . وينقسم الكتاب إلى جزئين ، أولهما «من الاستقلال إلى الحكم الأجنبى : العصور القديمة حتى عام ١٥٠٠» ، وثانيهما «من الحكم الأجنبى إلى الاستقلال ١٥٠٠ ـ ٢٠١٠» .

وحسب مقدمة المولف للطبعة الخامسة ، أنه رمى من وراء تأليف هذا الكتاب «أن يتمكن الأرمن فى الولايات المتحدة من النظر إلى ماضيهم بموضوعية ، وكذلك لكى يتعرف غير الأرمن على تاريخ شعب عريق فقد معظم أرضه التاريخية وتشتت فى أنحاء المعمورة» . وباختصار شديد ، يفحص الكتاب تاريخ أرمينية وشعبها فى علاقتهما ببقية العالم . وسوف تُساعد الخرائط القارئ على ربط التاريخ الأرمنى بتاريخ الأمم الأخرى . والعمل يهدف إلى أن «يجعل الأرمن وغير الأرمن أن يكونوا على ألفة بشعب وثقافة غائبين من معظم المقررات والنصوص التاريخية» .

وثمة ملاحظة جد مهمة ، وفقاً لبورنوتيان ، مفادها أن الأرمن نادراً ما قاموا بدور «المعتدين» على امتداد تاريخهم الذى يبلغ ثلاثة آلاف سنة . وعموماً ، برعوا فى الزراعة والفنون والحرف والتجارة . وقد شيّد الأرمن صروحاً هندسية فريدة ، ونحتوا تماثيل بديعة ، وكتبوا مخطوطات مستنيرة وأدباً ، وقدموا عدداً من الأطروحات الفلسفية والقانونية المهمة . وعلاوة على هذا ، أسهم الأرمن فى التطورين الثقافى والعلمى للشرق والغرب على السواء بفضل موقعهم ودورهم فى التجارة الدولية .

ومن المؤكد أن التاريخ الأرمنى تاريخ يصعب جمعه . فالمصادر المكتوبة قبل اختراع الأبجدية الأرمنية فى القرن الخامس الميلادى تتطلب معرفة باللغات الآرامية والإغريقية والفارسية الوسيطة والسريانية . أما النصوص اللاحقة على هذا التاريخ فتتطلب معرفة

باللغات العربية واللاتينية والچورچية والتركية والفارسية الحديثة والمغولية والروسية والفرنسية والألمانية ، بالإضافة إلى الأرمنية الكلاسيكية والحديثة. كما أن ما تعرضت له أرمينية من الغزو المتكرر والزلازل الكثيرة قد تسبب ، بلاشك ، فى تدمير أدلة تاريخية بالغة القيمة . ويُضاف إلى هذا أن تقسيم أرمينية التاريخية بين الدول المجاورة لها جعل الأبحاث الأركيولوچية والأرشيفية مهمة حساسة ، وصعبة فى الغالب .

وجدير بالتسجيل أن القضية المحورية فى الكتاب تدور حول أن أرمينية تُعد واحدة من «الأمم الصغيرة» القليلة التى استطاعت أن تعيش رغم الاعتداءات المتكررة والتدمير والظلم والاضطهاد . وقد وُصف الأرمن عبر التاريخ بأنهم قادرون على التكيف والمرونة، كما أنهم يتميزون بالإقدام والصمود . ولذا، فالسؤال الجوهرى : كيف استطاع الأرمن أن يستمروا فى الحياة بينما اختفت أمم أكبر وأكثر قوة ؟ وفى ذات التوقيت ، كيف استطاعوا أن يُقدموا إسهامات متميزة إلى حضارات العالم ؟

فيما يخص موقع أرمينية التاريخية (القديمة) ، فإنها تشمل بمصطلحات الحاضر معظم أراضى شرق تركيا ، والجزء الشمالى الشرقى من إيران ، وأجزاء من جمهوريتىّ أذربيچان وچورچيا ، بالإضافة إلى منطقة الجمهورية الأرمنية الحالية . هذا ، وقد مرت البنية الچيولوچية لأرمينية ، منذ حوالى خمسين مليون عام، بمراحل متعددة مما خلق جبالاً عظيمة وقمماً بركانية مرتفعة خامدة الآن فى كل مكان من الهضبة . وأعلى قمة جبلية هى قمة جبل أرارات (١٦٩٤٦ قدماً) . وعموماً تُمثل الجبال الكثيرة مصدراً للعديد من الأنهار غير الصالحة للملاحة ، والتى صنعت العديد من الوديان الضيقة العميقة والوهاد ومساقط المياه . وأطول هذه الأنهار هو نهر آراكس الذى يجرى فى سهول آرارات ويُخصبها . وفى هذه السهول تقع أهم المدن الأرمنية مثل أرماڤير ويرڤانداشات وأرتاشات ويريڤان ودڤين وآنى وناخيتشيڤان وڤاغارشابات . ومن الأنهار الأخرى : الفرات ، دجلة ، الكور ، أخوريان ، هرازدان .

وثمة عدد من البحيرات من قبيل ڤان (حالياً فى تركيا) وسيڤان (فى جمهورية أرمينية) وأورميا (فى إيران) . وتقع أرمينية فى نطاق المنطقة المعتدلة ، وتتمتع بمناخات متنوعة . ويُعتبر الشتاء بشكل عام طويلاً ويُمكن أن يكون قاسياً للغاية ، بينما الصيف قصير وشديد الحرارة . وبعض السهول تُناسبها الزراعة أكثر بسبب انخفاضها ، ولذا ، كانت تضم مراكز سكنية عبر القرون . وقد ساعد التنوع المناخى للمنطقة المعتدلة على وجود تنوع كبير فى المجموعات النباتية والحيوانية المنتشرة فى غرب آسيا وما وراء القوقاز .

ولاريب أن موقع أرمينية الفريد كان جذاباً باستمرار للغزاة ، ونتج عنه فترات طويلة من السيطرة الأجنبية من قبيل الآشوريين والإسكيثيين والإغريق والرومان والفرس والعرب والأكراد والأتراك والمغول والتركمان والروس . ولكن ، وفى نفس الوقت ، قامت أرمينية بدور الطريق الرئيسى للتجارة منذ العصور القديمة . وفى المقابل ، أصبح الأرمن قناة الاتصال التى مكنت أوربا أن تتعلم من آسيا (أثناء العصور القديمة والوسطى)، كما ساعدت آسيا على أن تقتبس التكنولوچيا عن أوربا (فى العصور الحديثة) .

أما أول مملكة أرمنية ، وهى أورارتو (تقريباً ٨٧٠ - ٥٨٥ ق.م) ، فقد خصص لها المؤلف الفصل الثانى . وحسب رؤيته ، كانت منطقة أرمينية التاريخية واحدة من أقدم المناطق التى قامت بالزراعة البدائية فى العالم . وسرعان ما بدأ استخدام النحاس فى المنطقة ، وفى عام

٣٠٠٠ ق. م تمكن أبناء المنطقة من عمل البرونز . وكانت إقامة المجتمعات السكنية المستقرة والزراعة واستخدام الأدوات المعدنية عوامل جعلت منطقة ما وراء القوقاز من مهاد الحضارات وأعطتها ثروة وجعلتها جذابة للغزاة .

فى هذا الإطار ، تمكن الأورارتيون ، وهم أناس يُحتمل أن يكونوا من سلالة الخوريين ، من دمج عديد من القبائل المحلية والقبائل الهندأوربية الشرقية الموجودة فى هضبة أرمينية وتكوين اتحاد بعد انهيار إمبراطورية الحيثيين فى القرن الثالث عشر قبل الميلاد . وكان الأورارتيون يُسمون أنفسهم بياينا ويدعون أرضهم بيانيلى . وبحلول القرن التاسع قبل الميلاد ، كانوا قد شكلوا أول مملكة على الأرض التى أصبحت فيما بعد «أرمينية» . ويُشير بعض المؤرخين إلى عصر مملكة أورارتو بمملكة ڤان .

كان أول ملك لأورارتو هو آرامو الذى حكم فى النصف الأول من القرن التاسع قبل الميلاد ، والذى وسّع نفوذه حتى ميديا . وبحلول القرن الثامن قبل الميلاد ، كانت مملكة أورارتو قد امتدت من الفرات غرباً إلى أراضى بحر قزوين شرقاً وضفاف بحيرة أورميا فى الجنوب وجبال القوقاز فى الشمال . باختصار ، المنطقة التى سوف يُطلق عليها فيما بعد «أرمينية الكبرى» . بيد أن نمو قوة الميديين والبابليين فى المنطقة قد أحدثت تغييرات جوهرية ؛ إذ خضع الاتحاد الأورارتى فى الفترة من ٦٠٥ إلى ٥٨٥ ق. م للإمبراطورية الميدية .

وعلى مدى ثلاثة قرون ، بنى الأورارتيون القنوات والقصور والمدن والقلاع ، وصنعوا أدوات وأسلحة وحُلى وآنية فخارية . وضمت معابد أورارتو آلهة محلية وهندأوربية وآشورية . وحلت الكتابات الأورارتية بالخط المسمارى الڤانى محل الخط المسمارى الآشورى . وبصفة عامة ، أصبحت أورارتو ثرية بسبب التجارة والحرب . وقد اختفت أورارتو ، مثلها فى ذلك مثل معظم الحضارات القديمة ، تحت طبقات من الحضارات القديمة والوسيطة ، حتى أعيد اكتشافها فى القرنين التاسع عشر والعشرين .

وخصص بورنوتيان الفصل الثالث لاستعراض أصول الشعب الأرمنى من خلال التفسيرات اليونانية والأرمنية والأكاديمية الحديثة . وكما هو الحال مع كثير من الشعوب القديمة ، ضمت أصول الشعب الأرمنى عناصر من الأسطورة وجدليات الباحثين المستمرة حتى الآن . وحسب المصادر الإغريقية ، لم يكن الأرمن من سكان المنطقة الأصليين . ويبدو أنهم جاءوا فى وقت ما بين هجرة الفريجيين إلى آسيا الصغرى ، بعد اضمحلال إمبراطورية الحيثيين فى القرن الثالث عشر قبل الميلاد ، وغزو القمريين لأورارتو فى القرن الثامن قبل الميلاد . وقد أتاح انهيار أورارتو للأرمن أن يُوطدوا أنفسهم بمثابة سكان المنطقة الأساسيين .

ووفقاً للروايات الأرمنية ، فإن الشعب الأرمنى من نسل يافث ، أحد أبناء نوح . فبعد أن استقرت الفلك على جبل أرارات ، استقرت عائلة نوح فى البداية فى أرمينية ، وبعد عدة أجيال تحركوا جنوباً إلى أرض بابل ، فثار هايك وتمرد وقرر العودة إلى أرض الفلك . ولكن بيل الشرير ، قائد البابليين ، تعقب هايك . وفى الحرب التى أعقبت ذلك ، انتصر الخير على الشر عندما قتل هايك بيل ، وأسس الأمة الأرمنية . وأصبح هايك أول حاكم أرمنى (هاى تعنى أرمنى فى اللغة الأرمنية) ، واستمر أحفاده يحكمون الأرمن حتى أقام الملك بارويرـ حفيد هايك ـ مملكة أرمينية .

وحتى ثمانينيات القرن العشرين ، اتفق الباحثون ـ دون إجماع ـ على أن الأرمن كانوا جماعة هندأوربية ،

جاءوا إلى المنطقة إما مع الإيرانيين الأوائل من منطقة بحر آرال أو أنهم جاءوا من البلقان مع الفريجيين بعد سقوط الحيثيين . وهناك أبحاث فى الفترة الأخيرة تُقدم احتمالاً آخر ، وهو أن الأرمن ليسوا مهاجرين جاءوا إلى المنطقة ، وإنما هم جزء من السكان الأصليين . وخلاصة القول ، يستمر المؤرخون الغربيون فى تأكيد أن الأرمن جاءوا من تراقيا وفريجيا ، بينما يُجادل الأكاديميون فى أرمينية بأن الأرمن هم السكان الأصليون لأرمينية التاريخية .

ويستعرض الفصل الرابع حالة أرمينية «من مرزبانات (حكام) ولاية فارسية إلى ملوك : اليرڤانديون ـ أول حكام أرمن مستقلون (تقريباً ٥٨٥ ـ ١٨٩ ق . م)» . وقد كانت القرون الأربعة التى تفصل بين نهاية مملكة أورارتو وبداية المملكة الأرمنية تحت أسرة أرتاشيسيان (أرتاكسياد) ، هى سنوات التكوين ليس فقط بالنسبة للأرمن ، ولكنها أيضاً كذلك بالنسبة لعدد من شعوب ذلك الزمان الذى شهد سيطرة الهندأوربيين وازدهار العصر الكلاسيكى القديم فى أوراسيا .

كان من المعتقد أن أول أسرة أرمنية حاكمة لم تظهر حتى بدايات القرن الثانى بعد الميلاد . ولكن هناك أدلة جديدة على وجود أسرة قبل ذلك ، وهى الأسرة اليرڤاندية ، الذين تولوا حكم أرمينية كحكام معينين من قبل الميديين والفرس . وبعد سقوط الإمبراطورية الفارسية أمام الإسكندر الأكبر ، بدأ الحكام اليرڤانديون يتصرفون بشكل مستقل . وبصفة عامة ، يُمكن القول أن اليرڤانديين كانوا حكاماً متمسكين بحقوقهم ، قاوموا داريوس الأول فى عدد من ثورات التمرد ، وحصلوا على درجة من الحكم الذاتى أثناء انحدار الإمبراطورية الفارسية ، ورفضوا الحكام الإغريق ، وصدّوا السلوقيين ، واستطاعوا الاحتفاظ باستقلالهم بشكل عام .

وخلال هذه الحقبة أصبح الأرمن من الأهمية لدرجة إدراجهم ضمن الولايات الفارسية الرئيسية والشعوب التى وُضعت فى نقوش «بيهستون» ، وهو صرح تم تصميمه تقريباً فى عام ٢٥٠ ق . م . لتخليد ذكرى منجزات وفتوحات داريوس . وكانت هذه هى المرّة الأولى التى يظهر فيها اسم أرمينية (محفور Armina) فى سجل تاريخى . ورغم أن الأرمن يُشيرون إلى أنفسهم «هاى» ، فقد تبنى غير الأرمن المصطلح الذى استخدمه الفرس والإغريق ، وهؤلاء الأخيرون أشاروا إلى الأرمن باسم Armenioi . وخلال هذه الفترة أيضاً ، بُنيت فى أرمينية معابد إغريقية الطابع ، وظهرت عملات عليها نقوش وكلمات إغريقية . وكانت التجارة العالمية تمر فى أرمينية جالبة معها الثقافة والعلوم من الشرق والغرب معاً . ورغم هذا ، لم تتأثر أرمينية بالهلينية إلا جزئياً ، وظلت الثقافة الفارسية ، وكذلك اللغة والعادات الأرمنية هى السائدة والمهيمنة . وكان أهم تغيير هو ظهور المدن مثل يرڤاندشات ويرڤاندكيرت وأرشاماشات ، وهو الأمر الذى سهّل فيما بعد توحيد أرمينية الكبرى .

هذا ، وقد خصص المؤلف الفصل الخامس للحديث عن «الأرتاشيزيون وتشكيل المملكة الأرمنية (تقريباً ١٨٩ ق . م ـ ١٠ ميلادية : بين الفيالق الرومانية وسلاح الفرسان البارثى» . وفى ذلك الوقت ، كان صعود روما وشق طريقها داخل بلاد الإغريق ومقدونيا يُهدد السلوقيين فى سورية . وكما ذكرنا آنفاً ، كان اليرڤانديون قد قاوموا انتهاكات السلوقيين وحافظوا على استقلال أرمينية الكبرى . وحاول أنتيوخس الثالث ، آخر حاكم مهم من حكام السلوقيين ، أن يستعيد الإمبراطورية السلوقية بإيقاف تقدم البارثيين الذين ، بحلول القرن الثانى قبل الميلاد ، كانوا قد تسللوا إلى فارس بالتدريج حتى وصلوا إلى وسطها .

ومن ثم ، فقد سعى إلى مد سيطرته على المناطق المتمتعة بالحكم الذاتى والمتاخمة لحدوده . وفى بداية القرن الثانى قبل الميلاد ، نجح أنتيوخس فى حث بعض أعضاء العائلة اليرڤاندية على تحد حاكمهم وتغيير ولائهم والتحالف مع السلوقيين . وقبل كل من أرتاشيز وزاريه عرضه ، وتمردا على آخر حكام اليرڤانديين ، ونالا ألقاباً عسكرية من أنتيوخس ، ورسخا نفسيهما كحاكمين لأرمينية ، فتولى أرتاشيز حكم يرڤانداشات وأرمينية الكبرى كلها . أما زاريه فقد تولى حكم صوفين .

ويُعد تيجران العظيم (٩٥ ـ ٥٥ ق . م) ليس من أبرز ملوك هذه الأسرة فحسب ، بل من أبرز ملوك أرمينية على مدار تاريخها . وكان أول عمل يقوم به هو غزو صوفين وتوحيد المنطقتين الأرمنيتين سياسياً . ومنذ ذلك الوقت ، عدا فترات قصيرة جداً ، ظلت صوفين جزءاً من أرمينية الكبرى . وفى عام ٨٥ ق . م . بدأ تيجران فى استخدام اللقب الفارسى «ملك الملوك» . وقد امتدت إمبراطورية تيجران من البحر المتوسط إلى بحر قزوين ، وأصبحت أرمينية ـ لفترة قصيرة ـ إمبراطورية . وبنى عاصمة جديدة هى تيجراناكيرت . وأقام مسرحاً تُودى فيه المسرحيات الإغريقية . ولذا ، يفخر الأرمن بهذا الملك ويعتبرونه أعظم حكامهم : إذ أقام الإمبراطورية الوحيدة ، والتى كانت دولة ، حوّلت أرمينية من أمة صغيرة إلى قوة يُعمل حسابها .

وأثناء فترة حكم أسرة أرتاشيزيان ، ازداد تغلغل الهيلينية فى أرمينية الكبرى ، وأصبحت الآلهة الإغريقية المعادلة للآلهة الفارسية ـ الأرمنية الأكثر انتشاراً . ورغم التأثيرات الإغريقية والفارسية ، استمر الأرمن فى الاحتفاظ بلغتهم وعاداتهم ، مما قد يكون علامة على شعور ناشئ بالهوية والخوف من ذوبانهم داخل ثقافات أخرى . وظهر النبلاء أو النخرار nakharars لأول مرة فى تلك الفترة . وفى نهاية عصر أرتاشيزيان ، بدأ هيكل إدارى مفكك إلى حد ما فى الظهور ، والذى تطور إلى نظام أشبه بالنظام الإقطاعى ، وكان له فيما بعد تأثير كبير على سياسات أرمينية وعلى المجتمع الأرمنى طوال القرون الخمسة عشرة التالية . ومهما يكن من أمر ، استطاعت أول أسرة أرمنية حاكمة أن تعيش لمدة مائتىّ عام ، وأن تكون ـ لفترة قصيرة ـ قوة عظمى فى المنطقة . ولكن ، فى فجر العصر المسيحى ، أصبح استقلال أول مملكة أرمنية ضحية التنافس الشرقى الغربى فى آسيا الغربية .

## أطروحـــــــة

فى سياق إعداد مدرسة علمية متخصصة فى دراسات القضية الأرمنية بالجامعات المصرية ، سجّلت الباحثة سمر حسن حسن شمة رسالة الماچستير بآداب دمنهور تحت إشراف الأستاذ الدكتور محمد رفعت الإمام بعنوان «تطور القضية الأرمنية فى الدولة العثمانية إبان حكم السلطان عبد الحميد الثانى ١٨٧٦ ـ ١٩٠٩» .

دراســــــات

# روسيا القيصرية والقضية الأرمنية

## ١٨٧٨ ـ ١٨٩٦

عرض : شيماء الشواربى

إعداد : مروة فوزى

بتقدير «مرضى« مع التوصية بطبع الرسالة على نفقة الجامعة وتبادلها مع الجامعات المصرية والعربية ، حصلت الباحثة مروة فوزى شهاب على درجة الماجستير نظام الساعات المعتمدة من قسم التاريخ ـ فرع التاريخ الحديث ـ بكلية الآداب جامعة الإسكندرية تحت إشراف كل من د. محمد رفعت الإمام بآداب دمنهور ود. ناهد دسوقى بآداب الرسكندرية . وقد تشكلت لجنة المناقشة والحكم على الرسالة من أ.د. حمادة إسماعيل أستاذ التاريخ الحديث والمعاصر وعميد آداب بنها السابق رئيساً ومناقشاً ، د. محمد عمر عبد العزيز أستاذ مساعد التاريخ الحديث والمعاصر بآداب الإسكندرية مناقشاً . وفيما يلى أبرز نتائج الدراسة وهيكلها العام.

تُعد روسيا القيصرية ضلعاً محورياً فى ميلاد القضية الأرمنية فى الدولة العثمانية ، فقد أثارت روسيا قضايا الأقليات المسيحية فى الدولة العثمانية لاسيما الأرمن فى مسار مواز مع سياستها لتوفيق أوضاعها وتحقيق أحلامها فى الاستيلاء على الأستانة والوصول إلى المياه الدافئة والمضايق ، وواقعياً اصطدمت تلك الأحلام بأطماع أوربا فى الدولة العثمانية . ولهذا أضحى الأرمن ألعوبة فى أيدى أوربا لفرض ذرائعها على الدولة العثمانية وتحقيق أهدافها فى الحصول على الجزء الأكبر من الميراث والزج بالطرف الآخر بعيداً عن اقتسام التركة . وبذا ، غدت القضية الأرمنية بكل ملابساتها وتداخلاتها جزء لا يتجزأ من المسألة الشرقية.

وقد تلاقت أطماع حكومة سان بطرسبرج بطموحات الأرمن العثمانيين فى نيل الاستقلال .

فعاش الأرمن فى الدولة العثمانية بعد انقسامهم بين الأخيرة وروسيا القيصرية كمواطنين من الدرجة الثانية ، حيث فُرض عليهم جميع أنواع التمييز وظهر هذا فى عدم قبول شهادتهم فى المحاكم الشرعية وحظر حمل الأسلحة عليهم وإلزامهم بأداء الجزية . بالرغم من ذلك ، فإنهم تشبثوا بوطنهم الأم ولم يتركوه . ولهذا ، أطلق عليهم العثمانيون «الملة الصادقة» . وقد أصدرت الحكومة العثمانية مجموعة من التنظيمات (١٨٣٩ ـ ١٨٧٦) لتحسين أوضاع الأقليات العثمانية ، فأصدر السلطان عبد المجيد الأول (١٨٣٩ ـ ١٨٦٠) خطىّ كلخانة فى ٣ نوفمبر ١٨٣٩ وهمايونى فى ١٨ فبراير ١٨٥٦ وبمقتضاها كفل أمن الرعايا المسيحيين وأرواحهم وأعراضهم وممتلكاتهم وألغى ضريبة القرعة العسكرية وفتح الوظائف المدنية أمام جميع الرعايا .

ورغم التنظيمات ، فإنها عملياً قد فشلت . ولذا ، طالب المثقفون الأرمن الإدارة العثمانية بإصلاحات فعلية أكثر ديناميكية ، فكان دستور نامة الملة الأرمنية فى ٣٠ مارس ١٨٦٣ .

وبالرغم من ذلك ، فإن وضعية الأرمن العثمانيين ازدادت سوءاً ، فلجأ الأرمن إلى روسيا القيصرية بموجب ما تخوله لها معاهدة كوتشك قينارچه عام ١٧٧٤ . وبذا ، طالبت روسيا على رأس القوى الأوربية بتحسين أحوال المسيحيين فى الدولة العثمانية ، ولكن الإدارة العثمانية لم تنصاع لمطالب أوربا ؛ خوفاً من تدخلها فى الشئون الداخلية العثمانية. ولهذا ، أعلنت الحكومة القيصرية الحرب على الدولة العثمانية فى ٢٤ أبريل ١٨٧٧ ، وقد انتهت بانتصارها .

إذ ذاك ، اشتغل الأرمن تأزم العلاقات الدولية والمفاوضات الروسية العثمانية القائمة آنذاك ، ولجأوا إلى الدب الروسى لإثارة قضيتهم أثناء المعاهدة المزمع عقدها بسان إستيفانو ، حيث أرسلت البطريركية الأرمنية بالأستانة عدة إلتماسات إلى القيصر ألكسندر الثانى (١٨٨٥ ـ ١٨٨١) ورئيس وزرائه ألكسندر جورشاكوف ، طالبت فيها مساعدة الحكومة القيصرية فى الحصول على الحكم الذاتى وتحسين أوضاع الأرمن العثمانيين ووقف تحرش الأكراد بالأرمن . وفى ذات السياق ، توجه المطران خورين ناربى إلى سان بطرسبرج لعرض مشروع يتضمن إصلاح أرمينية العثمانية على الحكومة الروسية كى يدخل حيز التنفيذ فى معاهدة سان إستيفانو عام ١٨٧٨ .

وفى ضوء هذه المعطيات ، أصدر القيصر ألكسندر الثانى تعليماته بمناقشة الملف الأرمنى ضمن فعاليات المعاهدة ، فقد أرادت الإدارة الروسية خلق مادة تجعل من أرمينية العثمانية منشأة تحت سيادتها . وفعلاً ، نجحت المساعى الروسية وتُوجت بالمادة ١٦ من معاهدة سان إستيفانو الناصة على أن خروج جنود روسيا من إرمنستان وإرجاعها إلى الدولة العثمانية يُمكن أن يقضى إلى المناقشات والاختلافات بينهما ، ولهذا يتعهد السلطان بإجراء الإصلاحات على حسب الاحتياجات المحلية فى الولايات التى يسكنها الأرمن ، وتأمين حيوات المسيحيين من تعدى الأكراد والچراكسة . وكذا تضمن الجزء الثانى من المادة ١٩ من ذات المعاهدة ضم روسيا لأردهان وأرتڤين وباطوم وقارص وأولطى وقاغزوان وبايزيد والآشجيرد الواقعة فى أرمينية العثمانية ضمن أملاك الدولة العثمانية ، وإعادة روسيا إلى الأخيرة ولاية أرضروم .

وقد توالت ردود أفعال الأرمن العثمانيين تجاه هذه المعاهدة ، فقد أعرب البطريرك نرسيس ڤارچابيديان عن امتنانه للروس ، حيث تُعد هذه المعاهدة أول آلية دولية فى التاريخ الحديث يرد فيها ذكر إرمنستان . وبالرغم من ذلك ، فإنها لم تجد طريقها للتنفيذ ؛ إذا اعترضت عليها الأوساط الحكومية الأوربية لاسيما بريطانيا ؛ حيث رأت أن هذه المعاهدة زادت من نفوذ روسيا فى شرقى الأناضول بحيث أصبح فى استطاعتها القفز على آسيا الصغرى والعراق وسوريا والخليج الفارسى وتهديد مصالح بريطانيا فى الهند . ولذا ، دعت ألمانيا والنمسا ـ المجر لعقد مؤتمر آخر للنظر فى معاهدة سان إستيفانو ، وتحت الضغوط الدولية والتهديدات الأوربية انصاعت روسيا القيصرية لعقد مؤتمر برلين عام ١٨٧٨ .

وهكذا ، استغل الأرمن ذلك لطرح قضيتهم على المسرح الأوربى ، فأعدوا مشروعين لإصلاح أحوال الأرمن العثمانيين ، الأول أعده نوبار نوباريان باشا والثانى أعدته البطريركية الأرمنية بالأستانة ، ولكن

الصراع الدائر داخل أروقة المؤتمر كان حائلاً فى حصول الأرمن على مكاسب كبيرة كما كانوا يأملون ! إذ تمت مناقشة الملف الأرمنى فى ثلاث جلسات هامشية ضمن قضايا عدة ، وقد كانت بريطانيا سيدة الموقف الأوربى على مدار الجلسات . ولهذا ، بدأت روسيا تبحث عن مخرج للخروج من هذا المأزق الجد حرج بأقل الخسائر الممكنة واستعادة توازناتها على الساحة الأوربية ، وتمخض عن ذلك المادة ٦١ العائمة والمائعة والتى نصت على تعهد الدولة العثمانية بأن تُجرى الإصلاحات وبدون تأخير أكثر من ذلك فى الولايات الأرمنية طبقاً لما تقتضيه ظروف الولايات وضمان أمنها من تجاوزات الأكراد والچراكسة ، كما نصت ذات المادة على أن يُقدم السلطان العثمانى تقريراً دورياً بالخطوات التى تخذها فى هذا الصدد إلى الدول المعنية بمراقبة الإصلاحات .

وبالرغم أن هذه المادة أدخلت القضية الأرمنية فى صلب الدبلوماسية الدولية ، فإن الأرمن وجدوا أنفسهم بين أكذوبة المادة ١٦ من سان إستيفانو وخدعة المادة ٦١ من برلين ، فهذه المادة لم تضف جديداً يُلبى مطالب الأرمن وتطلعاتهم . وبذا ، تقدم الأرمن بعدة مشروعات للحكومة العثمانية تطالبها بالالتزام بتطبيق المادة ٦١ ، وتنظيم القانون العثمانى والإدارة ومراقبة الأكراد والچراكسة ووقف تحرشهم بالأرمن .

وجدير بالتسجيل أن روسيا لم تقم بأى دور فى الضغط على الحكومة العثمانية لقبول هذه المشروعات؛ لتغييرات طرأت فى سياستها انعكست آثارها على متابعة الردارة القيصرية لسير القضية الأرمنية ، فقد تزامن مع الإصلاحات الأرمنية توارت داخل روسيا القيصرية طالبت بمجموعة من الإصلاحات . ولذا ، رأت الحكومة أن المطالبة بتطبيق الإصلاحات الأرمنية تعنى موافقتها على تطبيق الإصلاحات داخل روسيا القيصرية . زد أيضاً ، إتباع القيصر ألكسندر الثالث (١٨٨١ ـ ١٨٩٤) سياسة الروسنة تجاه قطاع عريض من الأقليات الروسية لاسيما الأرمن .

ولكن ، تصاعد الأطماع البريطانية فى أرمينية العثمانية كان سبباً رئيسياً فى عدول القيصر ألكسندر الثالث عن قراره بعدم التدخل فى شئون الأقليات خاصة الأرمن ، كما خشيت روسيا من الانفراد الأحادى لبريطانيا بالشأن الأرمنى . ولذا ، تنمرت روسيا ببريطانيا ومنعتها من استعراض عضلاتها على الساحة الدولية من خلال اشتراكها معها فى المطالبة بالإصلاحات لمراقبة أنشطة حكومة لندن بالأساس .

وهكذا ، اشتركت روسيا مع بريطانيا وفرنسا وألمانيا والنمسا ـ المجر وإيطاليا فى تقديم عدة مذكرات إصلاحية عام ١٨٨٠ ، طالبت بخلق بنية سكانية خاصة بالأرمن باعتبارهم أغلبية طبقاً للتعداد الأوربى والأهلى الأرمنى وعدم احتساب الأكراد ضمن هذه البنية . وكذا ، المساواة مع المسلمين فى عملية تولى الوظائف الحكومية وتقدير الضرائب وفقاً لقدرة كل شخص ، بالإضافة إلى ضرورة تغيير جذرى فى القوانين العثمانية والفصل بين السلطتين الشتريعية والتنفيذية . بيد أن الردود العثمانية قد اتسمت بالمواراة والغموض والالتباس وكان ذلك مخرجاً لمأزق الإجابات المباشرة على مطالب الأوربيين بشأن الإصلاحات الأرمنية .

وفى خضم هذه الدوامات السياسية ، تقلصت المذكرات الأوربية بدءاً من عام ١٨٨١ ؛ حيث انشغلت روسيا وأوربا بتوازناتها الدولية عن متابعة مسار القضية الأرمنية ، ولكن بحدوث المذابح الأرمنية عادت أوربا مجدداً لفتح ملف الإصلاحات الأرمنية واشتركت

روسيا شكلياً فى المطالبة بالإصلاحات لمراقبة أوربا ، وذبقاً لهذا قدم ممثلو الثالوث روسيا وبريطانيا وفرنسا مذكرة إلى السلطان عبد الحميد الثانى (١٨٧٦ - ١٩٠٩) فى ١١ مايو ١٨٩٥ ملحقاً بها برنامجاً إصلاحياً لمعالجة النظام الإدارى والاقتصادى والقضائى فى الولايات الأرمنية العثمانية الست ، ولكن السلطات العثمانية لم تقم بتطبيق الإصلاحات الأرمنية التى طالبت بها أوربا ، وأيضاً لم تنفذ المادة ٦١ ، مما جعل الأرمن ينتهجون العمل الثورى للحصول على مطالبهم بعد أن فشلوا فى الحصول عليها بالطرق الدبلوماسية .

وساهمت نهضة الأرمن فى مجالات التعليم والصحافة والفن فى إيقاظ المشاعر القومية للأرمن وتنامى هويتهم ، بالإضافة إلى سياسة السلطان عبد الحميد الثانى والتى كان لها دور مهم فى إحداث تغير فى سلوك الملة الصادقة .

وفى ضوء ما سبق ، تصاعد المد الثورى الأرمنى ضد الحكومتين الروسية والثمانية تبلور من خلال الجمعيات السياسية والتنظيمات الثورية مُمثلة فى ثلاثة أحزاب هم الأرميناجان والهنشاك والطاشناق . وبالرغم أن هذه الأحزاب مختلفة الأيديولوچيات ، فإنها قامت بنشر الثورة فى أرمينية العثمانية والروسية لخلق دولة مستقلة ، ولكن اصطدم ذلك بالحكومتين الروسية والعثمانية ، فقامت الإدارة الروسية بإجهاض الثورة الأرمنية مادياً ومعنوياً وعسكرياً ؛ خوفاً من انتقالها بين رعاياها الأرمن ، بالإضافة إلى رغبتها آنذاك فى الحفاظ على الدولة العثمانية ضعيفة أفضل من انهيارها على أيدى أوربا . وعلى نفس النسق ، ناهضت الدولة العثمانية الثورة الأرمنية وذلك من خلال تشكيل الفرق الحميدية فى عام ١٨٩١ لإقصاء الأرمن فى محيطها الجغرافى .

وهكذا ، قامت الدولة العثمانية بسلسلة من المذابح ضد الأرمن داخل الولايات الست وخارجها ، كما حرضت الحكومة المسلمين على الاشتراك فى قتل الأرمن . وعلى الرغم من ذلك ، فإن بعضهم رفض الانصياع لأوامر الحكومة وقاموا بحماية الأرمن داخل منازلهم .

وفى خط متواز مع تطورات السياسة القيصرية تجاه القضية الأرمنية ، فقد حولت روسيا أنظارها بعيداً عن الأرمن وشجعت سياسة السلطان عبد الحميد الثانى الدموية تجاههم . فقد صرّح القيصر نيقولا الثانى (١٨٩٤ - ١٩١٨) قائلاً : «إن المسألة الأرمنية كالمريض وأتمنى أن يدفنوه» . ولهذا لم تتخذ روسيا موقفاً جدياً فى وقف هذه الانتهاكات اللاإنسانية المقترفة المقترفة ضد الأرمن العثمانيين ، حيث ارتكنت السياسة الروسية على مبدأ «السيادة المطلقة» واختزلت معناه فى حرية الدولة صاحبة السيادة فى اضطهاد وذبح رعاياها دون تدخل من جانب الدول الأخرى وكان انتهاج روسيا لهذا المبدأ مواتياً لسياستها التى قامت بتأليب التتر (الآذريين) على رعاياها الأرمن وقتل عدد منهم . زد أيضاً ، قيام الحكومة القيصرية بذبح اليهود داخل المقاطعات الروسية فيما عُرف بالبوجروم . هنا ، أصبح التدخل الفعلى والوحيد لروسيا لوقف المذابح تحت مسمى «التدخل الإنسانى» .

وإزاء هذا ، رفضت روسيا أى عمل منفرد من جانب أية دولة أوربية يهدف لاستقلال أرمينية أو خلخلة توازن الدولة العثمانية بحجة وقف المذابح ، خاصة بعد أن بادرت بريطانيا أثناء المذابح بوضع خطط لتقسيم الدولة العثمانية والزج بروسيا خارج الميراث . ولهذا ، تأزمت

العلاقات الروسية البريطانية وكان هناك بوادر حرب أوربية . وفى خضم هذه الانفعالات والتفاعلات الدولية ، رأت بريطانيا ضرورة التفاوض والاتفاق مع روسيا لوضع الخطوط العريضة بين الطرفين حال انهيار الدولة العثمانية إثر المذابح الأرمنية ؛ وذلك لتجنب الحرب بينهما ، وبالفعل تمت المفاوضات بين القيصر نيقولا الثانى وسالزبرى رئيس وزراء بريطانيا فى ١١ سبتمبر ١٨٩٦ بقصر بالمورال بإسكتلندا ، وبالرغم أن هذه المفاوضات حددت أسس التعامل مع الدولة العثمانية ، فإنها لم تتطرق إلى وقف المذابح الأرمنية .

وبذا ، أسدلت روسيا الستار عن موقفها تجاه القضية الأرمنية الذى أتسم بالسلبية ، وقد تمحور هذا الموقف حول منظور المسألة الشرقية ، فأثناء صعود وهبوط الدور الروسى فى تدويل القضية الأرمنية فى مراحلها المختلفة كان المحرك الأساسى لروسيا العلاقات الدولية سواءاً أوربية - أوربية عثمانية - أوربية وقد تمثلت فى مجموعة من الصراعات على مصير الرجل المريض . وختاماً ، يُمكن اختزال سياسة روسيا على مدار الدراسة بأن موقفها ودورها وردود أفعالها كان لخدمة وتعزيز مصلحتها ، وبهذا تلاعبت بمصير الأرمن وباعت لهم الآمال والأحلام فى الاستقلال . وأصبح الأرمن كياناً بلا روح فى ظل حكومات لم تهدف طوال هذه الفترة التاريخية إلا لتحقيق مصالحها على حسابهم .

## علاقـــــــات

### السفير الأرمنى بالقاهرة د. أرمين مياكونيان يزور حزب الحرية والعدالة

فى ٢٦ مارس ٢٠١٢ ، استقبل د. عصام الحداد - مسئول لجنة العلاقات الخارجية بحزب «الحرية والعدالة» د. أرمين ميلكونيان سفير جمهورية أرمينية بالقاهرة . وقد رحّب د. عصام بالسفير الأرمنى ، وأعرب عن تقديره لهذه الزيارة ، وأكد على عمق العلاقات بين مصر وأرمينية منذ عهود طويلة . واستعرض معه ملامح المشهد السياسى فى مصر . وأشار د. عصام إلى حرص الحزب على دعم العلاقات السياسية والاقتصادية مع أرمينية من خلال زيادة التبادل التجارى لاسيما فى قطاع الصناعات الصغيرة والمتوسطة وتفعيل الاتفاقيات المبرمة بين البلدين . وأشاد د. عصام بموقف أرمينية الداعم للقضية الفلسطينية . ومن جانبه ، أكد السفير الأرمنى على تقديره لحزب «الحرية والعدالة» ، وكذا ، الشعب المصرى الذى يحتضن على أرضه جالية أرمينية فى القاهرة والإسكندرية ، استطاعت التعايش والتكيف مع المجتمع المصرى فى خط متواز مع الاحتفاظ بهويتها وثقافتها . وعلى الصعيد الدولى ، أشاد د. ميلكونيان بموقف الجانب الملتزم بالحياد بين أرمينية وأذربيچان فيما يخص النزاع حول قره باغ .

رمــــــــوز

# قداسة البابا شنوده الثالث
# عاشق الكنيسة والوطن
# ١٩٢٣ ـ ٢٠١٢

بقلم : د . رامى عطا صديق

ودعت مصر، والكنيسة القبطية الأرثوذكسية مساء يوم السبت ١٧ مارس ٢٠١٢، قداسة البابا شنوده الثالث (١٩٢٣ ـ ٢٠١٢) بابا الإسكندرية وبطريرك الكرازة المرقسية الـ ١١٧ من باباوات وبطاركة الكنيسة القبطية. وفى السطور التالية لمحات من حياة البابا شنوده التى امتدت لنحو ٨٩ عاماً عاشها فى خدمة الكنيسة والوطن، بل وخدمة عالمنا الإنسانى . .

«ثم قال الله ليكن نور . . فكان نور»

### وكان النور هو نظير

وُلد نظير ـ الاسم العلمانى لقداسته قبل الرهبنة ـ يوم الجمعة الثالث من أغسطس عام ١٩٢٣ بقرية سلام التابعة لمركز أبنوب محافظة أسيوط، بصعيد مصر. تُوفيت والدته عقب ولادته مباشرة، ويُذكر أن السيدات المسلمات قد شاركن السيدات المسيحيات فى إرضاع الطفل نظير.

تولى رعايته والده الفاضل جيد روفائيل، ثم احتضنه شقيقه الكبير «روفائيل» وأخذه معه إلى مدينة دمنهور التى كان موظفاً بها ثم أعاده إلى أسيوط وعاد وأخذه إلى بنها التى نُقل إليها ثم إلى القاهرة التى استقر فيها.

### نظير الطالب النجيب

واصل نظير دراسته والتحق بمدرسة الإيمان الثانوية بحى شبرا الشهير بالقاهرة، وتدرج فى مراحل التعليم المختلفة، وكان فى طوال مراحل دراسته طالباً متفوقاً محبوباً من زملائه.

### فى جامعة فؤاد الأول

التحق الشاب نظير جيد بجامعة فؤاد الأول (جامعة القاهرة حالياً)، فى كلية الآداب قسم التاريخ، وفيها درس التاريخ الفرعونى والإسلامى والتاريخ الحديث، وفى عام ١٩٤٧ حصل على درجة الليسانس بتقدير (ممتاز).

### طالب فى الإكليريكية

فى السنة النهائية له بكلية الآداب ، التحق نظير بالكلية الإكليريكية وهى المدرسة اللاهوتية التى يرجع تأسيسها إلى عام ١٨٩٣ فى عصر البابا كيرلس الخامس (١٨٧٤ ـ ١٩٢٧)، أيام أن كان الأرشيدياكون المعروف

كاتب وباحث

حبيب جرجس (١٨٧٦ـ ١٩٥١) مديراً للكلية حيث فتح فصولاً دراسية مسائية لمن يرغب فى الدراسة الإكليريكية من طلاب الجامعة.

بعد حصول نظير جيد على الليسانس من كلية الآداب بحوالى ثلاث سنوات، تخرج فى الكلية الإكليريكية، حيث نال دبلوم الكلية الإكليريكية عام ١٩٤٩. أمضى سنتين فى معهد الآثار، حيث اهتم بالتعرف على الآثار القديمة ودراستها. والتحق نظير جيد بالخدمة العسكرية كضابط احتياط، وفى الجيش ترقى إلى رتبة ملازم، واشترك فى حرب ١٩٤٨.

**الشاعر نظير جيد**

كان نظير يُحب القراءة والكتابة وخاصة كتابة قصائد الشعر، فعندما كان تلميذاً بالسنتين الأولى والثانية الثانوية والتى تُعادل الإعدادية الآن وعمره ١٦ عاماً فإنه كان يكتب الشعر ويتذوقه وقد أجاد عروضه وقوافيه وكل ما يختص به، حيث ألف العديد منها، ونشر بعضها فى مجلة (مدارس الأحد)، ويُذكر أن أول قصيدة لقداسة البابا قالها وهو فى هذه السن عام ١٩٣٩ يوم ذكرى وفاة أمه وكان مطلعها يقول:

أحقاً كان لـى أم فماتت    أم إنى خلقتُ بدون أم
رمانى الله فى الدنيا غريب    أحلّق فى فضاء مدلهم

**نظير الخادم بمدارس الأحد**

شارك نظير جيد فى خدمة مدارس الأحد، وبالأخص فى كنيسة الأنبا أنطونيوس بشبرا، وخدمة مدارس الأحد هى الخدمة التى أسسها الأستاذ حبيب جرجس حوالى سنة ١٩٠٠ بغرض تعليم النشء المسيحى مبادئ الديانة المسيحية، وكانت أغراض مدارس الأحد هى: تعويد الأولاد والبنات حفظ يوم الأحد ـ والمواظبة على حضور الكنائس لسماع القداس أيام الآحاد للمدارس القبطية وأيام الجمع للمدارس الأميرية (الحكومية) وتعليمهم حقائق الإنجيل تعليماً تاماًوجعلهم أعضاء حية وقوة نافعة للكنيسة وتعويدهم الفضائل والأخلاق السامية وتحذيرهم من الوقوع فى الخطايا المنتشرة كالحلف والكذب وغيرها وإعدادهم ليكونوا رجالاً نافعين لوطنهم مع العناية بنظافة ملابسهم وصحة أبدانهم وبث روح القومية فيهم وتعويدهم على خدمة شعوبهم. حيث أخذت مدارس الأحد على عاتقها إعداد الطفل: عقلياً وجسدياً ونفسياً وروحياً واجتماعياً فى انتماء حقيقى للكنيسة والوطن على حد سواء، وكانت مؤلفات الأستاذ حبيب جرجس هى التى شكلت المناهج الأولى التى اعتمدت عليها خدمة مدارس الأحد. وكانت مدارس الأحد بذرة الإيمان للنشء.

وكان بيت مدارس الأحد بشبرا مركزاً لتجمع خدام مدارس الأحد، وكان من أبرزهم الشاب نظير جيد الذى أثمرت خدمته عشرات بل مئات الشباب الذين خدموا فى القاهرة أو فى الإيبارشيات المجاورة.

**عمله بالتدريس**

عمل الأستاذ نظير جيد مدرساً لحوالى سبع سنوات فى المدارس الثانوية للغتين العربية والإنجليزية، كما عمل أستاذاً فى الكلية الإكليريكية، وكان يتخذ من التلاميذ أصدقاء يُعاملهم بحب وتقارب ولطف شديد، فكان لهم أباً وصديقاً قادراً على حل مشاكلهم وتكوين مثاليتهم.

**الراهب أنطونيوس السريانى**

وجد الشاب نظير فى الرهبنة حياة مليئة بالحرية والنقاء والزهد ومتعة التواجد مع الله. ومن ثم فإنه عشق هذا الطريق الملائكى وصار راهباً فى يوم السبت الموافق ١٨ يولية ١٩٥٤، وكان له من العمر آنذاك ٣١ سنة، فى عهد نيافة الأنبا ثاؤفيلس رئيس الدير فى ذلك

الوقت والذى رسّمه بإسم الراهب أنطونيوس السريانى على اسم القديس أنطونيوس مؤسس الرهبنة المصرية فى القرن الرابع الميلادى ونسبة إلى دير السيدة العذراء الكائن بوادى النطرون والمعروف بإسم دير السريان.

وبعد سنة من رهبنته تمت ترقيته إلى رتبة قس ليصبح «أبونا أنطونيوس السريانى»، والذى تميز بين رهبان الدير بثقافته الواسعة وعلمه الغزير.

عاش لفترة من الزمن وفى بداية رهبنته حياة الوحدة فى مغارة تبعد حوالى سبعة أميال عن مبنى الدير مكرساً حياته للتأمل والصلاة والقراءة. وفى تلك المغارة يُذكر أن الباحث الألمانى المعروف أوتو ميناردوس قد زاره وأُعجب به كثيراً وبثقافته الواسعة وبتميزه على كل الرهبان المصريين.

عمل سكرتيراً خاصاً لقداسة البابا كيرلس السادس (١٩٥٩ـ ١٩٧١)، البطريرك السادس عشر بعد المائة، فى عام ١٩٥٩.

**أول أسقف للتعليم**

تمت رسامته أسقفاً للمعاهد الدينية والتربية الكنسية بإسم الأنبا شنوده ـ على اسم القديس المصرى المعروف الأنبا شنودة رئيس المتوحدين والذى كان يعيش فى القرنين الرابع والخامس والذى ُعرف أيضاً بثقافته الواسعة وحبه الشديد لمصر وكانت الرسامة على يدىّ البابا كيرلس السادس، فى يوم الأحد ٣٠ سبتمبر ١٩٦٢، وهو بذلك ُيعد أول أسقف للتعليم فى الكنيسة القبطية الأرثوذكسية.

بدأ الأنبا شنوده عهد التعليم وعلمه الخفاق يرتفع فكان الاجتماع الأسبوعى له، وكانت المحاضرات العديدة فى مختلف البلاد وفى كل مكان، ولعل من أبرزها محاضرة قداسته فى نقابة الصحفيين يوم ٢٦ يونية ١٩٦٦ تحت عنوان: «إسرائيل فى رأى المسيحية» والتى طبعتها الدولة بجميع اللغات ووزعتها وكان لها صدى واسع وكبير فى الأوساط المحلية والعالمية، حيث فنّد الكثير من الدعاوى الإسرائيلية.

**خليفة مار مرقس الرسول**

بابا وبطريرك ورئيس أساقفة المدينة العظمى الإسكندرية . فى الوقت المعين من الله اختارته العناية الإلهية بالقرعة الهيكلية راعياً أعلى لجميع أنحاء الكرازة المرقسية. إذ عندما توفى البابا كيرلس السادس يوم الثلاثاء ٩ مارس ١٩٧١، أُجريت الانتخابات لاختيار البابا الجديد وكان ذلك فى يوم الأربعاء ١٣ أكتوبر من نفس العام، لتعلن السماء مجىء الأنبا شنوده فى الاقتراع الهيكلى الذى تم إجراؤه يوم ٣١ أكتوبر، ثم جاء حفل تتويج البابا (شنوده) للجلوس على كرسى مار مرقس الرسول مبشر الديار المصرية بالمسيحية، ليجلس البابا شنودة الثالث ـ البطريرك السابع عشر بعد المائة فى تاريخ الآباء البطاركة والثالث بينهم الذى ُيسمى بإسم شنوده ـ على كرسى الباباوية فى الكاتدرائية المرقسية الكبرى بالقاهرة فى ١٤ نوفمبر ١٩٧١ وسط فرح وتهليل أبناء الكنيسة القبطية الأرثوذكسية.

والجدير بالذكر أنه بالرغم من مسئوليات قداسته العديدة والمتنوعة إلا أنه حاول دائماً قضاء ثلاثة أيام أسبوعياً فى دير الأنبا بيشوى بوادى النطرون وهو الدير القريب إلى قلب غبطته، حيث ُعرف عن قداسته حبه الشديد وولعه بحياة الرهبنة مما أدى ذلك وبشكل واضح إلى انتعاش الرهبنة المصرية فى عصره، حيث تمت سيامة المئات من الرهبان والراهبات. كما إنه كان أول بطريرك يقوم بإنشاء العديد من الأديرة القبطية خارج مصر، كما أعاد تعمير عدد كبير من الأديرة التى اندثرت منذ أزمنة بعيدة.

فى عهد قداسته تمت رسامة أكثر من ١٠٠ أسقف وأسقف عام، بما فى ذلك أول أسقف عام للشباب هو نيافة الأنبا موسى، وكذلك رسامة أكثر من ٤٠٠ كاهن وعدد غير محدود من الشمامسة (درجة كنسية دون القس) فى مدينتىّ القاهرة والإسكندرية وكنائس المهجر.

وفى عصره زادت الإيبارشيات وكان هدفه فى ذلك هو تركيز الخدمة الروحية المقدمة للمسيحيين، كما تم إنشاء عدد كبير من الكنائس داخل مصر أو خارجها، فقد عُرف قداسته بحبه للتعمير والتشييد.

أولى قداسته اهتماماً خاصاً لمشاركة المرأة فى خدمة الكنيسة القبطية الأرثوذكسية، ليس فقط كخادمات فى فصول مدارس الأحد والتربية الكنسية ولكن أيضاً كنساء يُقدمن حياتهن بالكامل لله ويخدمن الكنيسة، ومن ثم فقد كثرت فى عصره حركة رهبنة البنات وكذا تكرسهن للخدمة.

**خدمة الأقباط بالخارج**

اهتم البابا شنوده بخدمة الأقباط الذين هاجروا خارج البلاد ومتابعتهم روحياً، فرسّم لهم الآباء الأساقفة والآباء الكهنة، كما أسس لهم أيضاً الكنائس وعدداً من الأديرة والمعاهد اللاهوتية، فى كندا والولايات المتحدة الأمريكية وأستراليا وإنجلترا وفرنسا وإيطاليا والنمسا ونيوزيلندا وبلچيكا وهولندا وسويسرا واليونان وبعض دول أمريكا الجنوبية مثل البرازيل والأرجنتين وبوليفيا وبعض الدول الأفريقية مثل كينيا وزائير وزيمبابوى وناميبيا وجنوب أفريقيا، فضلاً عن بعض الدول العربية لاسيما وأن قداسته يُعرف بينهم بإسم «بابا العرب» لمواقفه الوطنية الأصيلة.

وقام البابا شنوده بالكثير من الزيارات الرعوية لتفقد أحوال أبنائه فى الخارج ـ ليس فقط أبنائه الأقباط بل جميع المصريين من مسيحيين ومسلمين، مؤمناً هنا بأنهم مصريون قبل كل شئ تجمعهم قيم مشتركة وفضائل واحدة.

**البابا شنوده صحفياً**

عُرف عن البابا شنوده الثالث حبه الكبير للصحافة، فكان ـ وهو بعد تلميذ بالمرحلة الثانوية ـ يشارك فى تحرير المجلات المدرسية، وبعد تخرجه شارك فى تحرير مجلة (مدارس الأحد) منذ إصدارها بالقاهرة عام ١٩٤٧كمجلة شهرية، ثم صار رئيساً لتحريرها خلال الفترة من سنة ١٩٤٩ وحتى دخوله الدير بقصد الرهبنة فى سنة ١٩٥٤، حيث صدرت هذه المجلة وكأنها لسان حال اللجنة العليا لمدارس الأحد القبطية الأرثوذكسية أو مجلتها الرسمية، وكثيراً ما كانت تلك المجلة التى ذاع صيتها بين الأقباط تحمل رؤى وأفكار تنويرية غرضها صالح الكنيسة وأبنائها.

كما أصدر قداسته مجلة (الكرازة)، وهو لازال أسقفاً للتعليم، يناير ١٩٦٥، ومازال يصدرها ويرأس تحريرها، ومجلته هذه تُعتبر الصوت الرسمى المعبر عن الكنيسة، كما أن بها أخبار عن الإيبارشيات وعن المواضيع الروحية والطقسية واللاهوتية . . . إلخ وتحتوى كذلك على ركن خاص للأطفال وعن العلوم وأخبار أخرى شتى.

وقبل ذلك كتب المقالات المتنوعة فى عدد كبير من المجلات الدينية، بالإضافة إلى أنه كان يكتب مقالاً أسبوعياً منتظماً فى صحف : (وطنى) و (أخبار اليوم) و (الأهرام) و (الجمهورية). . والجدير بالذكر أن البابا كان عضواً فى نقابة الصحفيين، وتحمل عضويته بطاقة رقم (٣)، وكان دائماً ما يلقى الصحفيين والإعلاميين بالترحاب الشديد مستجيباً للحوار والنقاش معهم فى محبة يشعر بها كل من يقترب منه أو يتعامل معه.

**مؤلفات متميزة**

ألّف قداسة البابا عشرات الكتب والتى مثلت إضافة حقيقية ومتميزة للمكتبة المسيحية وذلك فى مختلف الموضوعات : الروحية واللاهوتية والعقائدية والتاريخية . . ، منها مثلاً : «انطلاق الروح» و «المحبة قمة الفضائل» و «الأسرة الروحية السعيدة» و «الحروب الروحية» و «تأملات فى الميلاد» و «تأملات فى القيامة» و «الخدمة الروحية والخادم الروحى» و «لاهوت المسيح» و «اللاهوت المقارن» و «مار مرقس الرسول» و «تأملات فى حياة القديس أنطونيوس» و «اليقظة الروحية» . . وغيرها الكثير والكثير .

أسس قداسة البابا شنوده الثالث عام ١٩٧٤ «المركز القبطى لوسائل الإيضاح» ، والذى احتوى على وسائل عديدة سمعية وبصرية من أفلام سينمائية متحركة و (شرائط فيديو) وأفلام ثابتة (الفانوس السحرى) ، وتسجيلات صوتية وصور وخرائط توضيحية وكل ما يهم الدروس والمناهج التى تدرس فى جميع المراحل التعليمية .

اهتم البابا شنوده بالأسر الجامعية والمشكلات التى تقابل الشباب نتيجة للاختلاط بين الشباب والفتيات ، ومن ذلك أنه أسس أسقفية الشباب ورسم لها أسقفاً عاماً هو نيافة الأنبا موسى الذى يعاونه حالياً نيافة الأنبا رافائيل .

**مواطن مصرى أصيل**

غبطة البابا شنوده مواطن مصرى حتى النخاع ونبت من تراب هذا الوطن يضرب بجذوره فى الأرض المصرية الصلبة ، يؤمن بانتمائه الأصيل للوطن مصر ، وهو صاحب القول المأثور الذى صار شعاراً لكل المصريين داخل مصر وخارجها : «إن مصر ليست وطناً نعيش فيه لكنه وطن يعيش فينا» . حيث عبّر البابا عن ذلك المعنى الوطنى فى كل أقواله وأفعاله فهو كثيراً ما كان يشجع أبنائه الأقباط على الاندماج فى أنشطة المجتمع المصرى والمشاركة فى أفرحه وأتراحه ، كما إنه كان يرفض التدخل الأجنبى لحماية أقباط مصر مؤمناً بأن علاج مشكلات الأقباط وهمومهم لابد وأن يأتى على مائدة مصرية خالصة لا تضم سوى المسيحيين والمسلمين من أهل مصر .

وقد ارتبط البابا شنوده الثالث ومن منطلق إيمانه العميق بالانتماء للوطن مصر بالعديد من القضايا المصرية والعربية ، فمن ذلك إنه كان يدعو فى عظاته ومحاضراته لنشر قيم المحبة والسلام والتسامح والإخاء بين المصريين بل بين البشر جميعاً .

كما ارتبط قداسته أيضاً بعلاقات صداقة ومودة مع رجال الدين الإسلامى من مشايخ الأزهر الشريف ، إذ كثيراً ما جمعته لقاءات يسودها الحب الحميم . وكان يشجع الحوارات الإسلامية المسيحية التى تبحث وتتناول القيم والفضائل المشتركة بين المسلمين والمسيحيين من أجل مزيد من سبل دعم العيش المشترك بين أبناء الوطن الواحد .

وهو كذلك على علاقة طيبة بمسئولى الدولة ، ولعله الأمر الذى تنادى به الكنيسة منذ تأسيسها فى القرن الأول الميلادى ، ذلك أن الكنيسة القبطية فى صلواتها اليومية تُصلى من أجل الرئيس والوزراء والجند وكذا من أجل مياه نهر النيل والزرع وثمار الأرض والحيوانات وكل دابة على أرض الوطن بل ومن أجل اليتيم والغريب والضيف .

وإذا كانت العلاقة بين البابا شنوده الثالث والرئيس الراحل محمد أنور السادات (١٩٧٠ـ ١٩٨١) قد ساءت إلى أقصى مدى فى نهاية عهد السادات بسبب بعض الظروف والعوامل التى أدت إلى ذلك منها تنامى التيار الأصولى المتشدد ومحاولات زعزعة أركان المجتمع

المصرى من خلال تديين السياسة وتسييس الدين دون مراعاة لتنوع المجتمع المصرى وتميزه فى حالة التعددية التى يعيش فيها كل المصريين والتى هى تعددية فى إطار وحدة مصر وبنيها ، هذه العوامل وغيرها أدت إلى ما انتهى به الحال من حيث إعلان السادات قرارات ٥ سبتمبر ١٩٨١ الشهيرة ومنها عزل البابا شنوده بطريرك الأقباط وتحديد إقامته فى دير الأنبا بيشوى بوادى النطرون وتشكيل لجنة من بعض الآباء الأساقفة لقيادة الكنيسة . ولكن السادات رحل على إثر ذلك الحادث المؤلم الذى تعرض له وآخرون أثناء الاحتفال العسكرى بانتصارات ٦ أكتوبر ١٩٨١ ، ولكن الواقع يشير إلى أن العلاقة بين البابا والسادات كانت طيبة وودية فى السنوات الأولى من تتويج قداسته .

ظل البابا شنوده فى الدير إلى أن عاد إلى مقره بالقاهرة ليحتفل مع أبنائه الأقباط بعيد الميلاد المجيد فى ٧ يناير ١٩٨٥ فى عهد الرئيس السابق محمد حسنى مبارك ، لتبدأ مرحلة مصالحة بين الكنيسة والدولة .

وكان البابا شنوده يناصر القضية العربية الأم إذ أيد الحق الفلسطينى فى عودة أراضيه السليبة وحقوقه الضائعة ، وليس بعيداً عنا ذلك المؤتمر الذى عقده قداسته فى مقره بالكاتدرائية المرقسية بالعباسية لتأييد الفلسطينيين والرئيس الفلسطينى الراحل ياسر عرفات .

### عمل مسكونى

اهتم قداسة البابا شنوده الثالث بالكنائس الأخرى والطوائف المسيحية ، فعمل على تقريب وجهات النظر والتفاهم من أجل حل المشكلات اللاهوتية والعقائدية حتى تنتهى الكنائس إلى الوحدة التى كانت قائمة قبل الانقسام ، فكان يحرص على أن يلتقى بالبطاركة والمطارنة ورؤساء الكنائس الذين يزورون القاهرة إما لتفقد رعاياهم أو للسياحة . واهتم بإرسال وفود من الكنيسة القبطية إلى المؤتمرات المسكونية والاشتراك فى المؤتمرات اللاهوتية .

## من الأقوال المأثورة لقداسة البابا شنوده الثالث

- احفظ المزامير تحفظك المزامير .
- إن الكلمة التى تقولها تُحسب عليك مهما اعتذرت عنها .
- كل فضيلة خالية من الحب لا تحسب فضيلة .
- مصير الجسد أن ينتهى فيا ليته ينتهى من أجل عمل صالح .
- إن الضيقة سميت ضيقة لأن القلب ضاق عن أن يحتملها .
- ضع الله بينك وبين الضيقة فتختفى الضيقة ويبقى الله المحب .
- ليس القوى من يهزم عدوه وإنما القوى من يربحه .
- ويقول قداسة البابا معزياً فى التجارب : (ربنا موجود ـ كله للخير ـ مسيرها تنتهى)
- إن ضعفت يوماً فاعرف أنك نسيت قوة الله .
- توجد صلاة بلا ألفاظ . . . بلا كلمات . . . خفق القلب صلاة . . . دمعة العين صلاة . . . الإحساس بوجود الله صلاة .
- صدقونى إن جواز السفر الوحيد الذى تدخلون به لملكوت الله هو هذه الشهادة الإلهية : أنت ابنى .
- إن الله يعطيك ما ينفعك وليس ما تطلبه ، إلا إذا كان ما تطلبه هو النافع لك ، وذلك لأنك كثيراً ما تطلب ما لا ينفعك .
- النفس القوية لا تقلق ولا تضطرب ، ولا تخاف ، ولا تنهار ، ولا تتردد . أما الضعيف فإنه يتخيل مخاوف وينزعج بسببها .

# البروتوكولات بين أرمينية وتركيا حقيقة أم خدعة ؟

ترجمة : د . نورا أريسيان
عرض : د . سحر حسن

٣ من ٣

تأليف : هاروت ساسونيان

خلال العددين السابقين ، استعرضت المجلة مقالات الكاتب الأرمنى الأمريكى هاروت ساسونيان التى كتبها على مدار عامىّ ٢٠٠٨ و ٢٠٠٩ . وفى هذا العدد ، نختم هذه الباقة الرائعة من الأفكار والأطروحات بمقالات ساسونيان التى كتبها فى عام ٢٠١٠ . وتجدر الإشارة إلى أن الباحثة الأرمنية السورية د . نورا أريسيان قامت بترجمة هذه المقالات إلى اللغة العربية .

**ينبغى على الأرمن طلب التعويض من تركيا مثل بلغاريا**

فى بداية عام ٢٠١٠ ، حرّك الوزير البلغارى لهيئة شئون البلغار فى الخارج بوجيدار ديميتروف «عش الدبور» حينما هدد بتجميد دخول تركيا إلى الاتحاد الأوربى ما لم تدفع عشرين مليار دولاراً للبلغار الذين هُجِّروا قسراً خلال الحقبة العثمانية . بيد أن رد الفعل التركى جاء سريعاً وقاسياً ؛ إذ هدد وزير الخارجية أحمد داود أوغلو بأن طلبات بلغاريا آنفة الإشارة يُمكن أن تضر بالعلاقات الثنائية . ولذا ، تراجع المسئولون البلغار على الفور مدركين أن المواجهة المفتوحة مع تركيا بهذه المسألة لا تعود بالفائدة عليهم كون المفاوضات تجرى خلف الأبواب الموصدة . وحسب ساسونيان ، وجد القادة البلغار أنه من غير المناسب الربط علناً بين طلباتهم بالتعويض من تركيا بمسألة عضويتها فى الاتحاد الأوربى .

وقياساً على الطلب البلغارى ، اختتم ساسونيان مقاله بأنه ينبغى على الأرمن الذين يعيشون فى تركيا وأوربا أن يتشجعوا ويسعوا إلى التعويض القانونى من خلال «المحكمة الأوربية لحقوق الإنسان» من أجل استعادة الخسارة التى لا تُحصى إبان الإبادة الأرمنية . ويُمكن أن تُسجَّل الدعاوى من أجل خسارة ملكيات شخصية وحسابات مصارف وعقارات ونصب تذكارية وكنائس ؛ «إذ لا سلام دون عدالة ! ولا تسوية دون تعويض !» .

**١٤ يناير ٢٠١٠**

* * *

**انتهى العرض : البروتوكولان فى حالة موت**

بدأ ساسونيان هذا المقال المهم بأن المجتمع الدولى لم يعد يقتنع بالذرائع التركية اللامنتهية لرفضها التصديق على البروتوكولين . وبدأت الإدارة الأرمنية تتشكك

فى مصداقية الأتراك وتتوقع إمكانية انهيار البروتوكولين. وثمة سؤال يطرح نفسه : من المخطئ بعدم التصديق على البروتوكولين ؟ حسب المؤلف : يقع اللوم على الأتراك لتضليل المجتمع الدولى طوال الوقت ؛ إذ لم يكن فى نيتهم تنفيذ خططهم المعلنة بخصوص تطبيع العلاقات مع أرمينية . ودون اتخاذ أية خطوة إيجابية ، خلقت تركيا انطباعاً مخادعاً فى التطبيع مع أرمينية ، وبذلك ، أقنعت الرئيس أوباما بعدم استخدام مصطلح «إبادة جنس» فى بيانه يوم ٢٤ أبريل . كما نجحت الإدارة التركية فى استغلال البروتوكولين لنشر دعاية مؤيدة لتركيا عبر العالم .

وتجدر الإشارة إلى أنه منذ التوقيع على البروتوكولين فى ١٠ أكتوبر ٢٠٠٩ لم تُنفذ طلبات تركيا ، ولذا ، هددت إدارتها بعدم التصديق على البروتوكولين أو فتح الحدود مع أرمينية إلى أن يتم حل نزاع ناجورنو قره باغ لصالح أذربيچان . هذا ، وقد تعقدت مسألة التصديق على البروتوكولين عندما هددت أذربيچان «شقيقتها الكبرى» بفتح الحدود مع أرمينية . وقد طلب الآذريون استمرار الحصار التركى إلى أن تضطر أرمينية إلى الاعتراف بسيادة أذربيچان على قره باغ . ولاريب أن تهديد الآذريين برفع سعر الغاز الطبيعى على تركيا وتحويل بعض النفط إلى روسيا ، جعل القيادة التركية تتحفظ أكثر على استكمال الاتفاق مع أرمينية .

ويُعلِّق ساسونيان على هذه التداعيات بقوله أن المجتمع الدولى أدرك أن محاولة حل مشكلتين شائكتين فى آن واحد ؛ أى نزاع قره باغ والبروتوكولين ، سوف تقود إلى عدم حل أى منهما !

هذا ، وقد أدرك الأتراك أن أحداً لا يدعم طلباتهم بخصوص قره باغ خارج تركيا وأذربيچان . ولذلك ، حّولوا الأنظار إلى كبش فداء ملائم وهو المحكمة الدستورية فى أرمينية التى أعلنت فى ١٢ يناير ٢٠١٠ عدداً من التوضيحات لتحد من تأويل الحكومة التركية للبروتوكولين . وإزاء هذا ، هددت الإدارة التركية بالانسحاب من البروتوكولين إلا إذا عّدلت المحكمة الدستورية الأرمنية قرارها ، وهو فرض مستحيل طبقاً لقوانين أرمينية .

عند هذا الحد ، لا ترغب أرمينية وتركيا فى التراجع عن الموقف «العنيد» . فإذا أزال قادة تركيا قره باغ والمحكمة الدستورية الأرمنية كـ «شروط مسبقة» ، فإنهم يُخاطرون بفقدان أذربيچان كحليفة ، وربما يهتز حزبهم فى الانتخابات المقبلة (٢٠١١) . وفى المقابل ، لا يُمكن لقادة أرمينية التخلى عن قره باغ ولا عن تعديل القانون فى المحكمة الدستورية . وبذا ، لا يُمكن لأى ضغط خارجى أن يضطر الحكومتين لقلب المجريات .

ولهذا ، أبدى ساسونيان قناعته بأنه لا يُمكن إنعاش البروتوكولين ! وبذلك ، اقتربت تركيا كثيراً من خداع أرمينية والعالم بهذين البروتوكولين «المشينين» . ولحسن الحظ ، حسب المؤلف ، فشلت تركيا «قبل أن تتسبب فى الإضرار بمصالح أرمينية القومية» .

**٢٨ يناير ٢٠١٠**

* * *

### يجب الحفاظ على وحدة أرمينية : الشتات بأى ثمن

احتدمت المناقشات الساخنة حول البروتوكولين بين أرمينية وتركيا ، وتفاعل أرمن المهجر بحنق وغضب حيال الضرر الذى يُمكن أن يُسببه البروتوكولين بخصوص المصالح الأرمنية القومية . ولهذا ، كرّس ساسونيان هذا المقال لإبراز الدروس المستفادة من الجدل الدائر حول البروتوكولين :

١ ـ يجب أن يُعير قادة أرمينية حذراً أكبر عند التوقيع

على اتفاقيات بخصوص الشعب الأرمنى كله .

٢ ـ يجب انتخاب قيادة للمهجر الأرمنى تكون همزة وصل بين المهجر والإدارة الأرمنية والحكومات والمنظمات الدولية .

٣ ـ يجب على أرمن المهجر ألا يربطوا خلافاتهم مع القيادة الأرمنية وما يقومون به من مد أياد العون للمحتاجين وإقامة الاستثمارات فى أرمينية .

٤ ـ يجب تجنب الانشقاقات بين منظمات المهجر ، والعمل سوياً على «التبادل المفيد للآراء» .

٥ ـ من أجل تجنب أخطاء جوهرية ، يجب أن يُشكل الرئيس الأرمنى مجلس مستشارين اقتصاديين وقانونيين ومختصين فى العلاقات الدولية .

٦ ـ يجب على الحكومة الأرمنية تخصيص وزارة للمهجر ، ينبثق عنها آلية ربط بين اهتمامات وشكاوى الأرمن عبر العالم مع وزارة الخارجية ومكتب الرئيس .

٧ ـ يجب على المسئولين الأرمن الإدراك بأن تركيا ـ وفق حجمها وموقعها الإستراتيچى ـ تملك فرصة أكبر فى طرح ونشر آرائها من خلال الإعلام الدولى أكثر مما هو متاح لأرمينية . ولذا ، أية قضية يتنازع ويتنافس عليها الأرمن والأتراك ، فإن النسخة التركية سوف تغلب بسبب نشر التأويلات بشكل أوسع من النسخة الأرمنية .

٨ ـ بدلاً من أن يُساعد البروتوكولان على تطبيع العلاقات بين أرمينية وتركيا ، فإنهما تسببا فى الإضرار برؤية هذا التطبيع .

وفى ختام المقال ، انتهى ساسونيان إلى أنه يجب أن تبدأ محاولات مستقبلية بخطوات تمهيدية لفتح الحدود وإقامة علاقات دبلوماسية أفضل من حشد العديد من المشاكل التى لا علاقة لها والشروط المسبقة فى اتفاقية واحدة . ولذا ، فإن التطبيع الحقيقى يجب أن يتم تأسيسه على الحقيقة والعدالة وليس على الكذب والتستر !

**٤ فبراير ٢٠١٠**

*   *   *

**«آه ، كم نحوك الشباك عندما نمارس الخداع منذ البداية»**

يُواصل ساسونيان فى هذا المقال رصد الذرائع التركية للتملص من التصديق على البروتوكولين . فقد أعلن عضو الكونجرس الأمريكى هاورد فيرمان (من كاليفورنيا) من لجنة العلاقات الخارجية فى البيت الأبيض أن مداخلته يوم ٤ مارس ٢٠١٠ ستشمل مسودة قرار الإبادة الأرمنية . ورغم أن قرار الإبادة ليس له صلة بالبروتوكولين ، فقد قام سفير تركيا الجديد فى واشنطن ، ناميك تان ، بتحذير الكونجرس الأمريكى من اتخاذ خطوة مماثلة . وحسب ساسونيان ، كشف تهديد السفير التركى بوضوح أجندة تركيا المخفية لوأد الاعتراف بالإبادة الأرمنية فى «الفرصة المناسبة» .

وبعد أن أُدرج قرار الإبادة على التصويت ، فالسؤال الذى يفرض نفسه : ماذا سيفعل الأتراك ؟ أجاب ساسونيان : لقد أُسروا فى نفس شباك خداعهم . فإذا أسرعوا فى التصديق على البروتوكولين بغية تجنب تبنى القرار ، فسوف يُثيرون عداء أذربيچان ويخلقون اضطراباً سياسياً داخلياً . وإذا لم يُصادقوا على البروتوكولين قريباً ، فعلى الأرجح أن الكونجرس سوف يُوافق على قرار الإبادة هذا العام .

وفى غضون ذلك ، بدأ ينفد صبر واشنطن على الأعذار المتكررة لتركيا بسحب قدميها من البروتوكولين . وفى المقابل ، يُمكن لإدارة أوباما استخدام قرار الإبادة كـ «عصا» لحث تركيا للتصديق

على البروتوكولين . علاوة على هذا ، لا يُمكن لتركيا أن ترتكز على دعم سياسى كبير من إسرائيل أو المنظمات الأمريكية اليهودية من أجل إعاقة قرار الإبادة الأرمنية بسبب الإهانات المتواصلة التى كان رئيس الوزراء أردوغان يرشقها على قادة إسرائيل خلال العام الماضى .

وبرفض تركيا التصديق على البروتوكولين ، تكون قد أزاحت عن إدارة أوباما مبرره بعدم الاعتراف بالإبادة الأرمنية . وحسب رؤية ساسونيان ، مع الأخذ فى الاعتبار تخطيطات تركيا المخادعة لإيقاف الاعتراف الدولى بالإبادة الأرمنية ، من الضرورى أن تُؤكد حكومة الولايات المتحدة الأمريكية مجدداً اعترافاتها . وسيكون ذلك «رداً مناسباً» على تكتيك تركيا المخادع باستخدام البروتوكولين لانتزاع تنازلات تحت مزاعم خادعة بفتح الحدود مع أرمينية .

**١١ فبراير ٢٠١٠**

* * *

## عشرة أسباب تفسر لماذا لن يسمح الأتراك لقادتهم بالتصديق على البروتوكولين

خصص ساسونيان هذا المقال لبيان كيف يُمكن للبرلمان التركى أن يرفض التصديق على البروتوكولين فى ضوء عشرة أسباب حددها الكاتب كالآتى :

١ ـ رغم البيانات التركية المتكررة بأن حل نزاع قره باغ هو شرط مسبق للتصديق على البروتوكولين ، فقد أشارت الولايات المتحدة وروسيا والاتحاد الأوربى بأنه لا يُوجد أى شرط مماثل فى البروتوكولين . كما رفضت أرمينية بحدة ربط البروتوكولين بمسألة قره باغ .

٢ ـ لا تُوجد أية حقيقة فى ادعاء تركيا بأن البروتوكولين سوف يُنهيان الاعتراف بالإبادة الأرمنية ومواصلة أرمينية متابعة الاعترافات من دول أخرى .

٣ ـ على عكس الإصرار التركى ، فإن اللجنة التاريخية المشار إليها فى البروتوكولين لن تخدم كـ «هيئة» مراجعة الإبادة ، بل كـ «منبر» لأرمينية لتقديم مطالبها بالتعويضات من تركيا .

٤ ـ إن الادعاء التركى بأن البروتوكولين سوف يُنهيان المطالبة بالأراضى الأرمنية يُناقض حقيقة أنه لم يُذكر فى أى من الاتفاقيات السابقة بأنه يتطلب من أرمينية التخلى عن حقوق مماثلة .

٥ ـ رفضت أرمينية والقوى العظمى طلبات تركيا بأن تُعِّدل المحكمة الدستورية الأرمنية قرارها الصادر فى ١٠ يناير ٢٠١٠ الذى حدّ من تأويلات تركيا المبالغة بشأن البروتوكولين .

٦ ـ لا يملك القادة الأتراك أية حجة للاعتراض على تنويه المحكمة الدستورية الأرمنية حول «مقدمة الدستور» فى متابعة الاعتراف بالإبادة الأرمنية ؛ لأنها مبنية على أساس المادة «١١» من إعلان استقلال أرمينية فى عام ١٩٩٠ .

٧ ـ صرّح المسئولون الأتراك بشكل مخادع بأن البروتوكولين يعترفان بـ «اتفاقية كارس» عام ١٩٢١ التى أُرغمت أرمينية السوفيتية على توقيعها . ولا يُوجد أى ذكر لاتفاقية كارس فى البروتوكولين . والأكثر من هذا ، أقرت المحكمة الدستورية الأرمنية بأنه فقط الاتفاقات المصادق عليها من قبل الجمهورية الأرمنية الحالية تكون صالحة .

٨ ـ بدلاً من «تصفير المشاكل مع الجيران» ، خلقت حكومة تركيا انشقاقاً جدياً مع أذربيجان جارتها وحليفتها عندما وقَّعت على البروتوكولين .

٩ ـ لم يُعبر المسئولون الأتراك عن أى اعتراض على طلب أرمينية بأن تُصادق تركيا أولاً على البروتوكولين .

هذا فرض مهين على تركيا ويتضمن ـ لأسباب وجيهة ـ انعدام ثقة أرمينية بتركيا .

١٠ ـ وبطريقة مماثلة ، لم يرد القادة الأتراك على تهديد أرمينية بسحب توقيعها ما لم تُصادق تركيا على البروتوكولين فى نهاية مارس ؛ أى قبل شهر تقريباً من ٢٤ أبريل . وهذا فرض مهين آخر من قبل أرمينية على دولة يعتنق قادتها «فخامة الفانتازيا وتخيلات العثمانية الجديدة» .

وهكذا ، على نحو ما أقر ساسونيان ، تُؤكد البنود العشرة السابقة وجود فجوة جدية فى المصداقية بين حكومة تركيا وشعبها ، وكذلك إزاء المجتمع الدولى . وقد حاولت تركيا خداع الجميع داخل تركيا وخارجها بخلق انطباع زائف فى الرغبة فى تطبيع العلاقات مع أرمينية . وفى الواقع ، يجب ألا يلوم المسئولون الأتراك أحداً سواهم فى هذه الورطة . لقد اعتقدوا بأنهم يستطيعون بالخداع انتزاع المزيد من التنازلات من أرمينية. بيد أنهم لم يفلحوا . والآن ، وقعوا فى شراكهم ، ولا أحد يتلهف لإنقاذهم ! .

**١٩ فبراير ٢٠١٠**

* * *

## خارطة طريق إلى المجهول أو تكتيك لتأجيل جديد : اعتراف بالإبادة فى عام ٢٠١٥ ؟

تُواجة الدول الكبرى جمود التصديق على البروتوكولين بين أرمينية وتركيا ، وهى تبحث يائسة لحفظ ماء الوجه للخروج من المأزق . وفى هذا الصدد ، أضاعت فرنسا وروسيا والولايات المتحدة الأمريكية كثيراً من الوقت والجهد للخروج من «صفقة القرن» التى تم التفاوض عليها وتوقيعها ولكنها لم تُصادق . هذا ، وقد التقى كلاً من الرئيس الأرمنى ورئيس وزراء تركيا مع الرئيس الأمريكى لبذل آخر محاولة لإنقاذ البروتوكولين أو على الأقل لخلق جو يُوهم بإحراز تقدم فى العملية . ولاريب أن أدنى بادرة أو حتى وعد فى تحسين العلاقات بين أرمينية وتركيا أو فى نزاع قره باغ من شأنه أن يمنح أوباما «ورقة التوت» المطلوبة لستر الوعد المكسور بشأن الإبادة الأرمنية .

وفى محاولة لكسر الجمود ، أصدر توماس دى وال ـ عضو بارز فى مؤسسة كارنيجى للسلام الدولى ـ تقريراً بعنوان «أرمينية وتركيا : سد الفجوة» ، وفيه اقترح خمس مبادرات «حُسن نية» يجب على تركيا القيام بها من أجل إبقاء المصالحة مع أرمينية على قيد الحياة ، وهى :

- فتح الحدود بين أرمينية وتركيا للمسافرين لغير الأغراض التجارية .
- فتح محدود للمنطقة بالقرب من الحدود الأرمنية التركية ، والتى تضم مدينة «آنى» الأرمنية الواقعة داخل الأراضى التركية حالياً .
- مبادرة تركية لفتح كامل ورقمنة الأرشيف العثمانى الذى يضم الوثائق الرسمية العثمانية لأحداث (١٩١٥ ـ ١٩٢١) .
- مبادرة الحكومة التركية لدعوة الأرمن فى المهجر لزيارة المواقع الأثرية الأرمنية القديمة فى الأناضول .
- فتح الطريق أمام الخطوط الجوية التركية بين الأستانة ويريڤان .

وفى المقابل ، يقترح دى وال أن تتعهد أرمينية لـ «إنهاء عزلة ناخيتشيڤان حال فتح الحدود التركية الأرمنية» . وبعد عرض الأفكار البسيطة المذكورة آنفاً ، تحول دى وال إلى قضية الاعتراف بالإبادة الأرمنية ، وحاول التوصل إلى حل طويل الأمد للجهود المتواصلة لجماعة الضغط الأرمنية فى أمريكا التى تُقيِّد الإدارة الأمريكية . وحسب رأيه ، فإن الوعد المكسور للرئيس أوباما بخصوص الإبادة واستخدامه مصطلح «المأساة

العظمى» كبديل عن «الإبادة» هو «صيغة لائقة» .

هذا ، وقد أنهى ساسونيان مقاله بأن مقترحات دى وال مجرد حيلة لـ «دفن قضية الإبادة الأرمنية لمدة خمس سنوات أخرى» ، فى حين يخلق فسحة لالتقاط الأنفاس من أجل التصديق على البروتوكولين «البائدين» .

**١٦ أبريل ٢٠١٠**

* * *

**البروتوكولان المجمدان وبيان أوباما المردد**

فى ٢٢ أبريل ٢٠١٠ ، وتحديداً بعد عام من إعلان خارطة الطريق لتطبيع العلاقات الأرمنية التركية ، وبعد مضى ستة أشهر على توقيع البروتوكولين «المشينين» بين البلدين بكثير من الجدل ، أعلن الرئيس الأرمنى سيرچ سركيسيان تعليقهما . وحسب ساسونيان ، لا يُوجد أى جديد فى هذا البيان . ورغم أن البعض رأى قرار سركيسيان على أنه خطوة جريئة ، فكان من الأفضل له - والكلام للكاتب - أن يسحب توقيع بلاده من البروتوكولين . وكان بإمكانه - ببساطة - أن يضع مسئولية انهيار البروتوكولين على تصلّب تركيا .

والآن ، وقد تحركت أرمينية أولاً ، فإن تركيا تُحمِّل أرمينية مسئولية انهيار البروتوكولين . وبهذا ، حسب ساسونيان ، منحت أرمينية الفرصة لتركيا لتهرب من الضغط الدولى الذى واجهته إبان الفترات السابقة بسبب عدم التصديق . والأكثر ، طالما أن البروتوكولين ليسا مقاطعين تماماً ، فإن تركيا ستستمر فى استغلالهما كوسيلة لإحباط الجهود المبذولة من قبل بقية الدول تجاه الاعتراف بالإبادة الأرمنية .

وللأسف ، ليست تركيا الدولة الوحيدة التى استغلت البروتوكولين . إذ بعد أن ضغط أوباما على أرمينية لعدم رفض البروتوكولين ، تفادى مرة أخرى استخدام مصطلح «إبادة أرمنية» فى بيانه السنوى . واستخدم ذريعة «الحوار بين الأتراك والأرمن» ؛ وهو الحوار غير الموجود أصلاً . ولاشك أنه أمر مضلل بأن يبذل الرئيس الأمريكى كل جهوده لإصدار بيان يغضب نفس الشعب الذى يُحاول إرضاءه .

إن الشئ الجديد الوحيد فى بيان أوباما يوم ٢٤ أبريل ٢٠١٠ هو الجملة القصيرة التالية : «أنا أُحيى الأتراك الذين أنقذوا الأرمن عام ١٩١٥» . وحسب ساسونيان، هذه فكرة جديرة بالثناء ، ولكنها للأسف تفقد معناها فى غياب تحديد ممن ومم تم إنقاذ الأرمن .

**٢٩ أبريل ٢٠١٠**

* * *

## مصر وأرمينية

فى يوم ٢١ مارس ٢٠١٢ ، تقابل سفير جمهورية أرمينية بالقاهرة د . أرمين ميلكونيان مع السيد محافظ الإسكندرية د . أسامة الفولى . وخلال اللقاء ، تباحث الطرفان فى التعاون على شتى المجالات المختلفة ، ونوّها عن أهمية العلاقات المباشرة بين الإسكندرية ومدن أرمينية . وقد أبلغ د . ميلكونيان د . الفولى عن قرار اليونسكو الخاص بإعلان يريڤان عاصمة عالمية للكتاب لعام ٢٠١٢ ، بمناسبة مرور ٥٠٠ سنة على طباعة أول كتاب باللغة الأرمنية . وقد هنأ السيد المحافظ السفير الأرمنى بهذه المناسبة منوّهاً إلى أن هذه الصفة حملتها مدينة الإسكندرية عام ٢٠٠٢ . وفى نهاية اللقاء ، أشاد د . الفولى بالدور الخاص للطائفة الأرمنية وإسهامها الملحوظ فى الإسكندرية وإضفائها سمه ثقافية خاصة بالمدينة وتطويرها .

# عبقريــة شخصيــة مصــر

بقلم : أ. د. عبادة كحيلة

في عصر يموج بالحركة كعصرنا ، تكونت فيه أمم وتتكون فيه أيضاً أمم ، يصير الحديث عن شخصيات هذه الأمم شيئاً طبيعياً وضرورياً ، سواءً أتى هذا الحديث شوفينياً أو غير شوفيني ، من هنا جاءت الحاجة إلى كتاب عن شخصية مصر ، كتاب غير مسبوق إليه ، صحيح أن ثمة مقدمات ، تبدأ بالعقاد وتنتهي بحسين فوزي ، لكنها كانت كتابات أحادية الجانب ، لأدباء ومؤرخين ، كتبوا عن أشياء وأغفلوا أشياءً . ومن واقع ظروف جديدة طرأت ، يأتي هذا الكتاب «شخصية مصر» ويأتي هذا الكاتب «جمال حمدان» تتويجاً لمرحلة سلفت ، وبدايةً موفقةً لمرحلة جديدة بدأت .

وبطبيعة الحال ، فإن الحاجة للكتابة عن شخصيات الشعوب ، تستمد تبريرها - جزئياً - من النكبات التي تُصاب بها هذه الشعوب (قارن نيتشه ونداءاته إلى الأمة الألمانية) . وتقديري أن هذا الكتاب ، وإن فرغ المؤلف من كتابته قبيل أحداث يونية مباشرة ، إلا أن هذا لا ينفي أن ثمة سحابات سوداء كانت تلوح عند الأفق ، وأتت الطبعة الثانية ، امتداداً لتأثير النكبة بعد أن جاوزت الأفق إلى الواقع .

أخيراً فإن الحديث عن الشخصية الوطنية نتيجة طبيعية وضرورية للفكر الجغرافي في أعلى مراحله ، أي الفكر الجغرافي بامتياز ، وهو «الجغرافيا الإقليمية» التي تُجاوز الطابع السكوني لهذا العلم ، وتُنشئ علاقات حميمة بينه وبين الواقع حوله ، الهدف توصيف هذا الواقع ، ثم المشاركة في تغييره بعد ذلك .

وقد يتصور القارئ أنني سوف أتقدم بملخص لهذا الكتاب ، تُضاف إليه عبارات تدشين هنا وهناك ، لكنني حين أكتب عن حمدان - وقد كتبتُ عنه غير مرة - لا أقصد أن أكتب عنه كشخص ، وإنما أقصد أن أكتب عنه كظاهرة ، والخطيئة الكبرى التي يقع فيها معظم كتابنا أن أحكامهم تأتي في النهاية ذاتية ، صحيح إنه لم يُخلق بعد من يستطيع أن يتجرد من أوهام بيكون ، لكنه من الممكن أن يخلق من يبتعد أميالاً عن هذه الأوهام .

إن كتاب «شخصية مصر» هو أنضج محاولة لتعرف الشخصية المصرية ، منذ أن بدأت هذه المحاولات . وأنا حين أنقل فقرات من هذا الكتاب ، أو أحاول عرض رأي أتى به المؤلف ، أجد مشقةً كبيرةً ، من حيث حجم المعلومات الموجودة وكثافتها وعمقها ومن حيث التنقل ، لا أقول بين فروع الجغرافيا فحسب ، وإنما فروع الإنسانيات عامة ، مع استعارة لغة الفلسفة . هذا

أستاذ التاريخ الإسلامي
كلية الآداب - جامعة القاهرة

كله يدعمه بناء قوى للعبارة ، يُضيف إلى صفة المفكر عنده صفة الفنان ، بحيث إننا نجد فى المؤلف نمطاً عقادياً جديداً ، أو إننا نجد فيه مفكراً أضاف ، لا دارساً جمع وبوّب ولم يأتِ بجديد .

والكتاب محاولة لتفسير الشخصية المصرية فى إطار بعدين أساسيين هما «الموضع» و «الموقع» أو إن شخصية مصر هى محصلة هذين البعدين والعلاقة بينهما . ولنترك المؤلف يشرح هذه النظرية ، لأن على أساسها يقوم الكتاب كله :

«والنظرية العامة التى تُقدم فى تفسير هذه الشخصية الفلتة ، هى التقابل - ائتلافاً أو اختلافاً - بين بعدين أساسيين فى كيانها ، هما الموضع Site والموقع Situation ، فالموضع نقصد به البيئة الطبيعية بخصائصها وحجمها ومواردها فى ذاتها ، أى البيئة النهرية الفيضية ، بطبيعتها الخاصة وجسمها المادى بشكله وتركيبه . . . إلخ ، أما الموقع فهو صفة نسبية تتحدد بالنسبة إلى توزيعات الأرض والناس والإنتاج حول إقليمنا ، وتضبطه العلائق المكانية التى تربطه بها . الموضع خاصية محلية داخلية ملموسة ، ولكن الموقع فكرة هندسية غير منظورة» .

فى إطار هذه النظرية تتحدد أبعاد الشخصية المصرية ، أولاً فى «التجانس والوحدة» ، عبر المكان والزمان ، حتمته ظروف الموضع وعموده الأساسى النيل ، فحدث نتيجةً لهذا الانسجام فى التركيب العرقى ، لأن مصر تعرضت للغزوات الحربية فى الغالب ، وليس للهجرات البشرية ؛ من هذه الهجرات الهجرة العربية ، التى هى فى الحقيقة «زواج بين أقارب بعيدين» . وقد لعبت الصحراء إزاء هذه الهجرات دور «ماصة الصدمات» كما أنها ساعدت على تبلور الشعور بالذات وطنياً .

ويتصل هذا البعد ببعد آخر وهو المركزية ، فإن ضيق مساحة المعمور أدى إلى خلق «مركز بؤرى» - بين الصعيد والدلتا - فى القاهرة أو منطقة القاهرة ، التى أصبحت مركز الثقل السياسى والحضارى معاً ، وكان معنى سقوطها سقوط مصر كلها ، وتجمعت بالقاهرة إدارة البيئة الفيضية ، من تكنوقراطيين تستوعبهم جماعة من البيروقراطيين ، ورخاء مصر أو عدم رخائها مرتبط بنوعية هذه البيروقراطية ، التى حددت فيما بعد شكل البرچوازية - عندما أتى عصرها - فهى برچوازية موظفين لا تجار .

والبعد الثالث ، هو تعادل الموضع والموقع فى أحوال القوة ، وتخلف الموضع عن الموقع فى أحوال الضعف ، فعندما كان الصراع العالمى - قديماً - يدور فى معظمه بين الرمل والطين ، استطاعت مصر أن تُصبح «قوةً طاردةً سياسية» وأن يكون لها ثقلها الدولى المرموق . ولكن عندما تحول الصراع إلى صراع بين البر والبحر ، واتسعت دائرة المعمورة ارتفعت أهمية موقع مصر ، وأصبحت «قوةً جاذبةً سياسية» ، وسيطر القول «وهى لمن غلب» . والاتجاه الحاضر لإعلاء الموضع (السد العالى - التصنيع) ، سوف يختصر المسافة بين الموضع والموقع .

والبعد الرابع هو «التوسط والتوازن» ، والمقصود بالتوسّط هنا ليس الجمع بين متناقضات على نسق ، وإنما يعنى أن مصر تكونت تاريخياً وسطاً فى حدود متجانسة . فهى طبيعياً تكاد تتوسط كتلة اليابس القديم وكتلة المعمور ، وهى متوسطة الحجم بالمقياس العالمى مساحةً وسكاناً وثروة ، الغطاء الزراعى يجمع بين المعتدلات والموسميات ، تكاد لا تعرف غير فصلين اثنين فى العالم ، وهى بشرياً جمعت تركيباً من عدة بيئات ، تجاورت لديها حضارة الشرق وحضارة الغرب ، وتمازجت داخلها الصفات الجنسية للأجناس الثلاثة الرئيسية فى العالم القديم بكل نسب القهوة واللبن ، تاريخياً شهدت عصر الإمبراطورية ، كما شهدت عصر الاستعمار ، وغيرها شهد أحدهما فقط . أخيراً هى دولة نامية وليست دولةً متخلفةً . هذا كله أدى إلى أن

تتوازن فى شخصيتها ، لا يتطوح اتجاهها نحو عنصرية ولا طائفية ، لا ترفض الجديد ، وإنما تختار ما يُناسبها .

«إن ملكة الحد الأوسط هى بوضوح فيما نأمل الآن ، كلمة المفتاح والدليل فى شخصية مصر الحضارية ، وفى مواجهتها للجمع والتوفيق بين الماضى والحاضر ، بين المحلية والعالمية ، بين الأصالة والمعاصرة ، وبين التراث والاقتباس» .

والبعد الخامس أن لمصر أربعة أبعاد (جزئية) حضارية وسياسية ، آسيوى وإفريقى على مستوى القارات ، ونيلى ومتوسطى على مستوى الأقاليم ، والبعد الآسيوى هو أهم هذه الأبعاد ، فالنيل لا يجرى فى منتصف الصحراء ، لكنه ينحاز إلى الشرق ، والدلتا مفتوحة إلى سيناء ، الأمر الذى يجعل مصر جزءاً من الضلع الغربى «للحلقة السعيدة» ، وتشمل حواف الجزيرة العربية والعراق والشام ، على أن البعد الأفريقى و (النيلى) يغلب عليه الإرسال الحضارى ، والبعد المتوسطى يغلب عليه الاستقبال الحضارى . لكن البعد الآسيوى (العربى أساساً) هو إرسال واستقبال معاً حضارةً وسياسةً وتاريخاً .

والبعد السادس ، هو الاستمرارية فى تاريخ مصر وفى شخصيتها . هذه الاستمرارية موجودة فى الخصائص المادية للحضارة (المرتبطة بالنيل) ، والانقطاع موجود فى الخصائص اللامادية لتلك الحضارة ، فثمة تطورات حدثت للحضارة فى مصر ، لكن ترامى «الوراء التاريخى» جعل هذه التطورات غير متعارضة ، على أن التعريب والإسلام ، أهم وأخطر التطورات التى حدثت ، ويبدو أثره بوضوح فى الجوانب اللامادية ، وهو الذى جعل مصر جزءاً من العالم العربى وأحد أقاليمه السياسية .

تتصل هذه الأبعاد أو إنها تُؤدى بالضرورة إلى بعد مهم وأساسى فى شخصية مصر وهو العروبة ؛ فمصر جزء من منطقة عربية واحدة ، أحدث بها الجفاف ابتعادات جزئيةً ، لا تمنع من أن تكون البلاد العربية كلها بيئة متوسطية ، وأن تُصبح مصر والعراق والمغرب «نظائر جغرافية» . كما إن الوحدة السياسية لا تأتى بالضرورة من الوحدة الطبيعية ، وإنما من الوحدة البشرية ، وهى متوافرة عند العرب .

دينياً وتاريخياً . . . العرب أولاد العراق (إبراهيم) ومصر (هاجر) ، ثم هناك التأثيرات السامية فى اللغة المصرية القديمة ، وهناك أيضاً الهجرة العربية ، التى جعلت العرب هم الأب الاجتماعى لمصر فى الدرجة الأولى ، والأب البيولوچى فى الدرجة الثانية .

إن أعظم أمجاد مصر تحققت فى إطار العروبة . معارك صلاح الدين وقطز وبيبرس أعظم من معارك تحوتمس ورمسيس ، والتوسع الفرعونى لم يصل - فى مساحته - إلى توسع القرن التاسع عشر .

وإذا كانت مصر عربية ، فهى أيضاً زعيمة العرب ، أهلها لهذا ضخامة الحجم والتجانس واستيعابها لعينات من كل قطر عربى سبقها إلى الحضارة الحديثة ، موقعها بين آسيا العربية وإفريقيا العربية ، لا حدود لها مع غير العرب ، تصديها للصليبيين والمغول . . . ثم إسرائيل .

مصر بين العرب ، أولوية بين أكفاء العرب بغير مصر ، هملت بغير الأمير .

«ليس دور الزعامة الجغرافية إدعاءً فظاً غليظاً ، وإنما ممارسة متواضعة صامتة ، وهو بهذا لا يمكن أن يكون تشريفاً أو تخليداً ، بل هو تكليف وتقليد . . . تكليف من الجغرافيا وتقليد من التاريخ ، إنها ليست أبهةً أو نعرةً سياسيةً ، بل مسئولية فادحة تفرضها الطبيعة» .

تمضى ثلاث سنوات وتصدر الطبعة الثانية من هذا الكتاب ليصبح ضعفى حجمه ويزيد ونجد أن المؤلف أضاف خمسة فصول ؛ فالفصل الخاص «بالتجانس والوحدة» ، أصبح فصيلين بعنوان «التجانس الطبيعى والمادى» و «التجانس البشرى والوحدة السياسية» . ثم

أربعة فصول جديدة ، نستطيع أن نجد مقدمات لها فى كتابات أخرى للمؤلف ، أو فى هذا الكتاب ؛ هذه الفصول هى شخصية مصر الإستراتيجية ، شخصية مصر الاقتصادية ، سكان مصر ، التوسط والتوازن ، وجميعها تُغطى مساحة تقرب من ثلث مساحة الكتاب .

بطبيعة الحال فثمة تعديل حدث فيما يختص بالفصول القديمة ، وهذا ليس شيئاً جديداً ، كما إنه ليس عيباً وإنما أريحية العالم ، فمن كبار المفكرين من عدلوا أفكارهم ، أو إنهم عدلوا عنها ، فالجزء الأخير من دراسة توينبى التاريخ ـ من إحدى الزوايا ـ مراجعة لبعض الأفكار التى وردت فى دراسته المهمة والخطيرة ، ومع هذا فقد نال توينبى ما يستحقه من تقدير .

فإذا انتقلنا إلى حمدان نجده وإن أعاد ترتيب فصول الكتاب ، إلا أن الأفكار الأساسية ماتزال هى هى ، بل إنه استخدم العبارات نفسها ، حذف القليل وأضاف الكثير ، لكننا نستغرب أن يحذف المؤلف ـ أحياناً ـ بعض العبارات ، مثلما حدث فى الفصل الخاص بالإقطاع مع انتفاء المبرر لهذا الحذف ، لأن الأفكار نفسها لم تتغير .

فى الطبعة الأولى يقول المؤلف «لا يعرف تاريخ مصر من ينكر أن الطغيان والبطش من جانب والاستكانة والزلفى من الجانب الآخر ، هى من أعمق وأسوأ خطوط الحياة المصرية عبر العصور ، فهى فى الحقيقة النغمة الحزينة الدالة فى «دراما التاريخ المصرى» وفى الطبعة الثانية يقول المؤلف «لا يعرف تاريخ مصر الاجتماعى من ينكر أن الطغيان أو الاستبداد الباطش أحياناً ، هو كظاهرة واقعة موضوعياً ، وبعيداً عن كل تفسير شخصى أو تنظير نغمة أساسية فيه ودالة عليه» .

وتقديرى أن العبارة الأولى كان يجب أن تأتى كما هى ، لأن الكتاب فى الطبعتين تصديق لها من ناحية ، ومن ناحية أخرى فإن الطغيان وبصرف النظر عن أى اجتهاد ـ كان النغمة الأساسية دائماً ولا نقول أحياناً ، وهى النغمة بل الإيقاع العام الذى يجمع بين عصر ابن آمون وعصر أفندينا .

ولننتقل إلى الأبعاد الجديدة الثلاثة التى أضافها المؤلف إلى كتابه فى طبعته الثانية ، ولنبدأ بشخصية مصر الإستراتيجية ، فقد حددها المؤلف باجتماع موقع خطير وموضع ضخم ، وما ترتب عليهما من قوة بر وقوة بحر ، أيضاً العمق الإستراتيجى والحماية الطبيعية ، بحيث تبدو مصر كنواة مغلفة بشرنقة ضخمة متعددة الطبقات والعقبات .

على أن الموقع والموضع معاً جعلا مصر تنتهج طوال تاريخها سياسةً دفاعية ، حتى حين كونت إمبراطوريةً مترامية ، وجعلاها فى الوقت نفسه مطمعاً لأنظار الغزاة ، لكن هذا لا يعنى بالنتيجة أنها «أطول مستعمرة» لأن ترامى «الوراء التاريخى» هو الذى يوحى بذلك ، فى حين أن فترات الاستقلال أطول من فترات الاحتلال ، كما إنه ليس صحيحاً أيضاً أن الشعب المصرى شعب صانع فحسب (حسين فوزى) . . . إنه شعب صانع ومحارب فى الوقت نفسه» .

«والحققية أن مصر كانت دائماً شعباً محارباً ، بقدر ما كانت شعباً بناءً ، وكان المصرى قديماً وحديثاً هو الإنسان المحارب كما كان الإنسان الصانع ، فلقد فرض الموقع المتحدى أن يصبح الشعب المصرى هو الشعب المقتحم مثلما فرض عليه أن يكون الشعب اليقظ الواعى للعالم المحيط ، أى إننا كما جعلنا الموضع ـ النهر ـ شعباً بنّاءً صناعته الحضارة ، فإن الموقع الحساس جعلنا وبنفس القوة والضرورة شعباً محارباً مقاتلاً وظيفته الدفاع» .

إن مصير الإمبريالية العالمية ومصير العالم الثالث يتحددان معاً بمصير الصراع بين مصر وإسرائيل . والصراع هنا مسئولية وطنية ، من حيث أن الأخطار التى تتهدد مصر تتهددها دائماً من الشرق ، ومن حيث أن الخطر الصهيونى ينحرف جنوب الخطر الصليبى

فيفصل مصر عن العرب ، ويهدد مواصلاتها وعمران قناتها ، ويوشك أن يسرق موقعها ، ولكن الأهم مسئولية مصر الفادحة فى زعامة العروبة .

يناقش المؤلف بعد ذلك قضية مهمة هى أحادية الاقتصاد المصرى ، وتلك حقيقة واقعة بالتاريخ ، يتجاهلها البعض ، ويهملها البعض الآخر بحجة إنها ميراث استعمارى ، فبعد أن يأتى بشواهد عديدة على هذه الأحادية ، يؤكد إنها فى داخلها أحادية زراعية ، لأن القطن هو مادة الزراعة الأساسية ، وعدا هذا تُصبح الصناعة ـ أو إنها كانت ـ حرفة تكميلية ، أما التجارة فدورنا فيها كان أشبه بدور الوسيط منه بدور التاجر .

هل من الممكن تثوير هذا الواقع ؟؟؟

يعتقد المؤلف أن التثوير محدود إذا نحن نظرنا إلى الزراعة وحدها ، لأنها عندنا كثافة قبل أن تكون مساحة ، وإذا كانت مشكلة الزراعة فى الماضى هى الماء ، فإن مشكلتها فى الحاضر هى الأرض ، وغاية ما سوف يصل إليه التوسع الأفقى لن يتجاوز بها عشرة ملايين فدان ، لأننا سوف نصطدم بالچيولوچيا وليس بالجغرافيا ، البديل هو التوسع الرأسى ، أى إثراء التربة ، وجعل الطين للزراعة والرمل للعمران ، وأخيراً التخصص الإقليمى .

ولكن التثوير الحقيقى يأتى من الموقع لأن هناك أقطاراً أخرى أغنى من مصر فى الموضع ، لكننا قد لا نجد أقطاراً أخرى أغنى منها فى الموقع . إن مصر تستطيع أن تصبح «يابان إفريقيا» عندما تستورد الخامات وتصنعها فى الداخل ، ثم إنها تستطيع أن تصدر العمل ، أى تستثمر كثافة السكان ، كما يجب الاهتمام بالتجارة والسياحة والخدمات ، وهو إتجاه يبرز عند دول أخرى كثيرة . وفضلاً عن فائدته الاقتصادية ، سوف يؤدى إلى انفتاح مصر على العالم حولها .

«وخلاصة القول إن الموارد الطبيعية ليست معطيات صماء من الطبيعة ، وإنما تقييمات حضارية ، وليس ثمة موارد طبيعية ، ثم أساساً مواهب إنسانية ، أو على الأقل فإن التنمية الاقتصادية والإنتاج والتقدم هو حاصل ضرب الموارد الطبيعية فى المواهب الإنسانية ، وعلى أبناء مصر إذن أن يسخروا كل مواهبهم ، حتى تسخر مصر لهم كل مواردها ، لاسيما أن ظروف مصر الخاصة من تخلف متراكم وتحديات متربصة تجعل من التقدم شرط البقاء بل البقاء نفسه» .

فإذا انتقلنا إلى السكان نلاحظ ـ علمياً ـ ودون الالتزام بالمبالغات ، أو النصوص المتواترة ، ومع الاعتراف بذبذبات عنيفة من نمط «الشدة المستنصرية» ، نلاحظ أن سكان مصر قبل الرى الدائم (محمد على) كان عددهم يدور حول العشرة ملايين ، باعتبار قدرة الأرض فى تحميل السكان ، وباعتبار أن مصر بلد تعرضت للغزوات ولم تتعرض لهجرات مؤثرة (عدا الهجرة العربية) . والحادث الآن ثورة ديموغرافية ، فاقت إمكانيات الموضع ، والتُهمت دخل قناة السويس ، وتُهدد بالتهام دخل السد العالى .

إذن ما الحل ؟؟؟

يعتقد المؤلف أن عدالة التوزيع ليست تكفى وحدها ، لأنها قد تعنى العدالة فى توزيع الفقر ، أما زيادة الدخل القومى ، فهى محدودة بالإمكانيات المتوافرة من موارد ومواهب ، الحل يكمن جزئياً فى الهجرة التى يصفها بأنها «انطلاقة كبرى فى اللحاق بالعصر والعصرية والعالم المعاصر البالغ الدينامية والسيولة» . لكن الأهم هو ضبط النسل ، وهو أمر لا تمنعه الديانات ولا الفلسفات المادية .

تلك هى الأبعاد الرئيسية فى «شخصية مصر» تتضح الصورة أمامنا . لونها المؤلف بفرشاته «فرعونية هى بالجد ، عربية بالأب ، ثم إنها بجسمها النهرى قوة بر ، ولكنها بسواحلها قوة بحر ، وتضع بذلك قدماً فى الأرض ، وقدماً فى الماء ، وهى بجسمها تبدو مخلوقاً

أقل من قوى ، ولكنها برسالتها التاريخية الطموح ، تحمل رأساً أكثر من ضخم ، وهى بموقعها على خط التقسيم التاريخى بين الشرق والغرب ، تقع فى الأول ، ولكنها تواجه الثانى ، وتكاد تراه عبر المتوسط . كما تمد يداً نحو الشمال ، وأخرى نحو الجنوب . وهى توشك بعد هذا كله أن تكون مركزاً مشتركاً لثلاث دوائر مختلفة ، بحيث صارت مجمعاً لعوالم شتى ، فهى قلب العالم العربى ، وواسطة العالم الإسلامى ، وحجر الزاوية فى العالم الإفريقى .

نناقش بعد ذلك قضية الجغرافيا والحتم الجغرافى ، وهى قضية مهمة لأن كل نقاد حمدان يعزفون عليها ، ثم إنه لن يتسنى فهم حمدان فى «شخصية مصر» ، وحمدان فى كتبه الأخرى ، دون أن نفهم هذه القضية أولاً ، وموقعها فى فكره ثانياً .

يتساءل البعض . . . ولماذا الجغرافيا . . . ما لها والشخصية الوطنية ؟

قرأنا هذا الكلام وسمعناه حين صدور الطبعة الأولى، وأحسب إن هذا التساؤل مايزال قائماً . وللإجابة عليه نقول ويقول المؤلف إن الجغرافى «يضرب بحرية فى كل العلوم ، يربط الأرض بالناس والحاضر بالماضى والمادى باللامادى والعضوى بغير العضوى ، ويكاد يتعامل مع كل ما تحت الشمس وفوق الأرض ، كل أولئك وهذا تحفُظ شرطى من خلال وجهة نظر موحدة وصارمة هى الإقليم والفكرة الإقليمية» .

إذن فإن الجغرافيا تصبح مدخلاً لدراسة الشخصية الوطنية ، وإزاء حالة كمصر فإن تأثيرها يفوق تأثيرها فى بلاد كثيرة غيرها لأنها «فلتة جغرافية» بتعبير حمدان موضعاً وموقعاً ، موضعاً لأن النيل هو مصر ، ولم يخطئ أحد مقولة هيرودوت ، وموقعاً لأن مصر هى عاصمة العالم القديم ، وهى الآن عاصمة العالم الثالث، وعاصمته بامتياز .

يقول المؤلف «والذى نراه هو إننا إزاء حالة نادرة من الأقاليم والبلاد ، من حيث السمات والقسمات التى تجتمع فيها ، وكثير من هذه السمات تشترك فيه مصر مع هذه البلاد أو تلك ، ولكن مجموعة الملامح ككل تجعل منها مخلوقاً فريداً فذاً حقيقةً . فهى بطريقة ما تكاد تنتمى إلى كل مكان ، دون أن تكون هناك دائماً ، فهى بالجغرافيا تقع فى إفريقيا ، ولكنها تمت إلى آسيا بالتاريخ، وهى متوسطة دون مدارية بعروضها ، ولكنها موسمية بمياهها وأصولها ، وهى وإن كانت أصلاً موسمية فى مصدرها ، فقد أصبحت موسمية دائماً وأخيراً ، على ما فى التعبير من تناقض ، هى فى الصحراء وليست منها ، إنها واحة ضد ـ صحراوية ، بل ليست بواحة وإنما شبه واحة هى» .

ولكن هل يعنى هذا فى التحليل النهائى أن ثمة حتماً جغرافياً ؟ . . لقد تصور البعض منطلقين من فكر معين ـ أن حمدان يقصد «أن الذى يحدد النظام الاجتماعى فى إقليم من الأقاليم هو طبيعته الجغرافية ، متجاهلين بذلك عناصر أخرى ، قد تكون أكثر بروزاً ، مثل الصراع الطبقى ، وبالتالى نصل إلى نظرية سكونية فى التاريخ ، تثبت فيها النظم الاجتماعية ، ثبات الطبيعة الإقليمية ، وبالتالى لا نتوقع تغييرات اجتماعية ، إلا كلما حدث تغيير فى الطبيعة الجغرافية» .

بيد أنه ليس معقولاً ولا مقبولاً أن يأتى أحد ـ حمدان أو غيره ـ بحتمية جديدة ، لأن عصر الحتميات ولَّى منذ سنين ، ثم إنه ليس معقولاً ولا مقبولاً أيضاً أن نعامل فكراً معيناً من منطلق فكرى آخر ، وإنما المعقول والمقبول معاً أن نتعامل مع أى الفكرين بمنطق يعقله ويقبله الفكران معاً .

إن حمدان لا يقول بالحتم الجغرافى ، فقط يقول بالحسم الجغرافى ، وإنكار هذا الأخير إنكار للسببية العلمية برمتها «وعندنا باختصار أن الجغرافيا عامل مهم

فى تفسير الحياة والحضارة والتاريخ فى مصر ، ولكنها بالتأكيد ليست العامل الوحيد ، وليست العامل الأهم بالضرورة ، وسيرى القارئ بالفعل أن بعضاً من غير الجغرافيين أكثر قرباً من الجغرافيين إلى السببية الجغرافية، بل وأحياناً إلى الحتم الجغرافى نفسه» .

فى التطبيق ونعود إلى الطغيان لأنه أحد العوامل المؤثرة والضاغطة فى تكوين مصر ولأنه المثال الصارخ الذى يلوح به دائماً نقاد حمدان .

إن حمداناً لا يقول إن الطغيان كان حتماً جغرافياً ، وإنما يقول إنه مرحلة فى تاريخ البشرية ، تشترك فيه مصر مع غيرها من الأقطار ، من حيث إنه كان روح العصر ، ولم يكن روح المكان ، أما لماذا كان أوضح فى مصر وأزمن أيضاً ، فإن السبب يكمن فى طبيعتها الجغرافية ، يقصد أن البيئة النهرية الفيضية ، فرضت وجود حكومة مركزية قوية ، تهيمن على وسائل الإنتاج، أى تنظم العلاقة بين الناس والنيل (وليس المقصود بالنيل هنا الزراعة وإنما المقصود الموضع) . وهذه فرضية فى الجغرافيا الطبيعية ، لا ترتبط بالضرورة بنظام اجتماعى معين ، لأن الزراعة فى مصر زراعة رى، وليست زراعة مطر .

من شأن هذه الفرضية أن تؤدى إلى الاشتراكية التعاونية بالتحديد ، وليس إلى الفردية العارمة كما شاهدنا فى أقطار أخرى ، لكن الذى حدث هو أن الحاكم استغل هذه الفرضية كوسيلة للطغيان ومبرر له فى الوقت نفسه ، وجاء إهمال الموقع وما ترتب عليه من غزوات خارجية ، ليتأكد الطغيان ونسله فى سلسلة طويلة من الأفعال وردود الأفعال مع إيقاع الحياة البطئ داخل شرنقة الوادى .

إذن فثمة أسباب أخرى للطغيان نبحث عنها خارج الجغرافيا وخارج النهر ، ويصبح «الطغيان ومركبه هنا حقيقة بالفعل لا بالقوة ، وهذا بالدقة مفتاح الحقيقة العلمية ، إنه حقيقة بالتاريخ لا بالجغرافيا ، وظاهرة تراثية لا وراثية ، موقوتة مهما طالت» .

وإذا لم يكن هناك حتم جغرافى فى مسألة الطغيان ، فالذى لاشك فيه أن هناك عوامل أخرى أساسية ، تلعب دورها فى رسم أبعاد الشخصية الوطنية ، فقد كان قمينا بمصر (الموقع) أن تلعب دوراً تجارياً وبالنتيجة صناعياً ، لا أن تكتفى بأن تلعب دور الوسيط ، لكن الذى حدث غير ذلك ، وهو أمر لا تفسره إلا عوامل أخرى خارج الجغرافيا وخارج النهر أيضاً .

العوامل السكونية إذن لا تحدد وحدها الطابع العام للشخصية الوطنية ، من هذا وعليه فمن الممكن أن تتغير هذه الشخصية فى الدرجة والنوع ، وواضح أن مصر الآن تتغير ، وهذا التغيير يمس أسباب الحياة المادية وغير المادية وهى كثيرة ، ومن شأنه أن يعكس تأثيره على الشخصية الوطنية ذاتها . والمؤلف نفسه يؤكد «أن مكانتنا هى محصلة مكاننا وإمكانياتنا على حد سواء» .

إن ملامح الشخصية المصرية ليست كلها ملامح مضيئة ، وليس تاريخها كله تاريخاً مضيئاً ، هذه حقيقة بدهية تسرى على مصر ، كما تسرى على أقطار أخرى، بل الأقطار الأخرى ، والطبيعى بل الواجب ، أن نناقش هذه الملامح السلبية قبل الإيجابية ولا نهملها استعلاءً أو انطلاقاً من حتمية التطور التاريخى ، لأن تلك ميكانيكية مرفوضة ، وتقديرى ـ وقد مررنا بنكسة محزنة ـ أن نختلف حولها ، لا أن نكتفى بمجرد الحوار ، نختلف أكثر من أن نتفق ، نبحث عن حل لها ، وحمدان فى توصيفه بدأ الرحلة وعلينا نحن أن نتابعها .

ليس سهلاً أن نصدر حكماً على كتاب وليس سهلاً أيضاً أن نصدر حكماً على كاتب ، لكنه بين حملة الصخب وحملة الصمت ، يبقى هذا الكتاب وهذا الكاتب علامةً مهمة على الطريق إلى الشخصية المصرية، وعلامةً مهمة أيضاً على الطريق إلى فكر مصرى معاصر . وتلك جائزة الكتاب والكاتب .

## الشيخة فريحة تزور كنيسة القديس ڤارتان والمستشهدين بصحبته بالكويت

فى ٢٩ مارس ٢٠١٢ ، قامت الشيخة فريحة الأحمد الجابر الصبّاح ـ رئيسة صندوق «الأم المثالية» الكويتى ـ بزيارة كنيسة «القديس ڤارتان والمستشهدين بصحبته «بالكويت فى إطار التعاون بين سفارة أرمينية ومؤسسات الطائفة الأرمنية بالكويت . هذا ، وقد بدأ الاستقبال الرسمى للشيخة فريحة فى فناء الكنيسة حيث ألقى كلمة كل من النائب الجاثليقى بالكويت وبلاد الخليج نيافة المطران شاهيه بانوسيان ، وكذا ، ممثلون عن مؤسسات الطائفة منوهين جميعاً إلى الطبيعة التاريخية لزيارة الشيخة فريحة ومغزاها المهم فى حياة الطائفة الأرمنية بالكويت وفى إطار العلاقات الثنائية بين دولتىّ أرمينية والكويت .

وبعد ذلك ، أُقيم القداس من أجل تقوية الصداقة بين الشعبين الأرمنى والكويتى . وعقب القداس ، ألقت الشيخة فريحة كلمة مقتضبة عن الدور الذى لعبته الطائفة الأرمنية من أجل بناء وتنمية الكويت . وقد قدرت الشيخة تقديراً عالياً إخلاص الأرمن ووفائهم إزاء حكومة الكويت وشعبها منوهة إلى أنه فى اللحظات العصيبة من تاريخ الكويت ، كان الأرمن دائماً إلى جانب الكويت .

وفى مساء ذات اليوم ، أقامت الطائفة الأرمنية بالكويت مأدبة عشاء على شرف الشيخة فريحة ، حضرها جميع ممثلى مؤسسات الطائفة . وقد ألقى سعادة سفير جمهورية أرمينية بالكويت السيد فادىّ تشارتشوغليان كلمة وصف فيها زيارة الشيخة فريحة بأنها تاريخية وغير مسبوقة فى تاريخ التعاون الأرمنى الكويتى . وأضاف أيضاً أن هناك مساع لتنظيم زيارة رسمية للشيخة فريحة إلى جمهورية أرمينية فى المستقبل القريب ، مما سيضع مسار تطوير العلاقات بين دولتىّ أرمينية والكويت على أسس جديدة . وقد تناول التليفزيون الكويتى ، وكذلك وسائل الإعلام المحلية ، بإسهاب أخبار زيارة الشيخة فريحة إلى الطائفة الأرمنية .

وتجدر الإشارة إلى أن هجرة الأرمن إلى الكويت ـ لغايات اقتصادية ـ بدأت من البلاد العربية إبان خمسينيات وستينيات القرن المنصوم . ومنذ مطلع السبعينيات ، انتظمت الجالية الأرمنية بالكويت انتظاماً جيداً . ويتمركز الأرمن فى العاصمة «الكويت» . وقد أسس أبناء الطائفة مدرسة فى عام ١٩٦٠ ، وكنيسة فى عام ١٩٦٧ . علاوة على هذا ، أسس أرمن الكويت جمعيات ثقافية وخيرية وأندية رياضية . ويشهد الجميع بدور الأرمن فى النهضة العمرانية والاقتصادية والثقافية التى شهدتها الكويت فى الفترة الأخيرة ، ولمع كثير منهم كرجال أعمال ناجحين فى مختلف المجالات الاقتصادية والتجارية والإنشائية .